

obeikandi.com

فانلة عنتر

فانلة عنتر



إيمان الوكيل



مجموعة قصصية

الناشر:

زحمة كتاب للنشر والتوزيع

أيمان الوكيل

Www.za7ma-kotab.Com

فانلة عنتر

Www.facebook.com/za7makotab

تصميم داخلي

Za7ma-kotab@hotmail.Com

أحمد عويس

01205100596\_01100662595

مراجعة لغوية

رقم الإيداع:

منى داروي

٢٠١٦/٢١٧٨٩

الترقيم الدولي:

978/977/6527/744

جميع الحقوق محفوظة لدى الناشر زحمة كتاب للنشر والتوزيع

# فائدة عنتر

بمجموعة قصصية

إيمان الوكيل

زحمة كتاب

obeikandi.com

## بدلة وفانلة

تبدأ عملها الصباحي في المنزل من تجهيز الغداء لأطفالها ونشر الغسيل وخلافه وبعد أن تنتهي ترتدي ملابسها بتأنق أكثر من ذي قبل فهي تحرص أشد الحرص على أناقتها وإخفاء تورم عينيها بمكياج متقن ولا تنسى الأكسسوار المناسب والبرفان و.....، لا تريد أن يرى أحد آلامها وتعبها ... لا تريد نظرة شفقة أو شماتة من أحد فهي لا تحتمل هذه أو تلك

ركبت تاكسي تملو سماعاته بأغنية حزينة فعادت دموعها للنزول ،  
تحاول منعها لكي لا يفسد مكياجها أو يراها السائق .  
تريد نسيان كلام أبيها بالأمس : ليه الحزن؟ عندك عمك الخاص إنتي  
مديرة نفسك ، افرحي بفخامة مكتبك واحمدي ربنا ، ويخبط كفا بكف  
بغضب :مش فاهم ؟

تحدّث منار نفسها لم لا يفهمون؟ مال الحمد بالحزن؟ أحمد ربي كثيراً  
لكني حزينة، لم لا يشعرون وقد تعرضت للمهانة ومعرضة للسجن بتهمة  
لم أرتكبها، وأولادي كيف سأتركهم، أنا؟ أنا أحبس مع تاجرات  
مخدرات و.....و..... و المطلوب ألا أحزن

نذمر ما قالته جارتها: إنني اللي طلبت الطلاق، حزينه ليه؟  
(تبتسم منار بتهكم) : أيوه طلبت الطلاق من الغلب والبهذلة معاه؟  
والمفروض اللي طالبة الطلاق تبقى فرحانة، ولو عشت معاه ما اشتكيش  
لإينه اختياري

في نهاية موضوع المفروض أكون مبسوطة عشت معاه أو اتطلقت  
رغم المشاكل والههم.

دخلت الصيدلية وما زالت ترتدي نظارتها الشمسية السوداء التي تختفي  
خلفها ترى الناس ولا يرونها.

تجلس على مكتبها وتحضر المساعدة الشاي، متحدثة عن فرح صديقتها  
بالأمس ومنار لا تحتمل أي صوت فالصداع غير محتمل، تريد إسكاتها  
ولا تحب إحراجها، ولكنها تضطر فتطلب من المساعدة ترتيب مكان  
بعيد عنها حتى لا تتحدّث.

تسرد منار تتذكر ابنتها وتحضنها:

«ماما خايفة القاضي يجبسك زي المسلسل حبسوا البطلة»

تدعي منار الضحك وتضم ابنتها أكثر:

متخافيش القاضي هيفهم إن القضية متلفقة وتركيب تليفون مش جريمة.

- مش جريمة ،طيب بابا بيععمل كدا ليه؟  
- هو تعبان وعصبي.  
- أنا زعلانة منه، قال لي مش هحيب هدموم العيد ولا هيدفع مصاريف المدرسة.  
- أنا دفعت مصاريف المدرسة وهنشترى هدموم العيد .  
- هلعب مع مين في العيد، بابا منعني ألعب مع بنات عمي وهو عارف إني مجبهم ،واحننا مالنا بخناقات الكبار.  
- هنروح النادي وندخل سينما ونشترى بالونات كتير.  
يدخل مريض وتصرف منار له الروشنة وتعود لتجلس على مكتبها وتشرذ ثانية، داعية ربيها أن يرزقها مخرجاً مما هي فيه.  
يدخل آخر يشترى علاجاً ويمشي ، وتعود منار لشروود، تفيق منه على صوت نسوة أتين لشراء شيء تافه ولا يحتاج لأربعة معاً ، لتفهم منار بعد ذلك سبب حضورهم .  
- تتكلم إحداهن:صحيح يا دكتورة إنتي متحوزة وعندك عيال؟  
- الحمد لله.  
- شكلك الله أكبر كأنك آنسة (وتضحك) مش بنحسد.  
- شكراً .

- تعطيهن منار طلبهن وتجلس فتحدث سيدة أخرى : حقيقي إنني مطلقة ؟

- تضايق منا: هيفرق معاكي؟

- السيدة(باستظراف): أبداً خلاص ، واحدة قمر زيك مين اللي يسيبها !

- منار: اللي حصل ودي حاجة خاصة.

- السيدة الثالثة: يقولوا إنك خلعتيه وهو راجل طيب وووو

- تقاطعها منار بصوت عالٍ : قلت موضوع خاص.

تركهن وتجلس محمرة الوجه غاضبة وتنصرف السيدات متضررات فلم يحصلن على موضوع جديد للتسلية.

يعود الصداق ثانية أشد مما سبق ، فكلام السيدات ليس بمجديد الجميع يقولون ذلك (الراجل طيب) أي زوجها السابق.

فالخلوع ذو وجه طيب ولحية وعلامة صلاة كبيرة ، حديثه بالقرآن والسنة ومعاملته مع الناس غاية في اللطف لا يعرف حقيقته إلا من يعيش معه .

ليخلع هذا القناع وتبدأ حقيقته في الظهور من سب دين وقذف بالخذاء أو ما تطوله يده والشم بالأب والأم أمام الأبناء والشغالة والسائق فحدث ولا حرج .

تحدث منار نفسها مرمطة وضياع كرامة وفي النهاية أنا المتهمة.... أستاهل ما أنا ست ولازم أتحمّل وما أنطقش فشكل منار القوي المتأثق لا يدل على تحملها كثيراً ونحن كشرق أوسط نخضع بالمظهر ولحية وحلو الكلام خصوصاً إذا توسطه حديث شريف أو آية.

- حماة منار: أتحملني ياما تحملت من أبوه، الست تتحمل  
- تذهل منار وترد بمحاولة ناجحة للهدوء : أتحمل أي شيء إلا الإهانات  
وقلة الكرامة ، ساعدوني نعالجه ،عصبيته مش طبيعية.  
- يعلو صوت حماها: نعالجه؟ ليه مجنون ؟ إنتي عاوازه يتهقر ويموت وتورثيه،  
وعمرك ما اشتكيتي منه ،حصل إيه؟  
- تنهار منار بأكية : عاوزه أعرف أعيش من غير صريخ ونكد، وأرتي ولادي  
من غير ما يشوفوا أمهم بتتشم وتتحدف بالجرمة.  
- حماها : الست تجمّع ما تفرقش، إيه يعني لما تتحمليه في غضبه وتسكتي  
لغاية ما يهدى،) ثم تمصص شفيتها( ولا في حد ثاني ؟  
- تصرخ منار : قصدكوا إيه؟ غلطانة إني سكت، المفروض كنت أشتكي  
وأعرف الناس كلها ،  
- امبارح رفع سكينه الفاكهة عليا قدام الولاد، أتحمل لغاية ما يقتلني؟  
- يتحدث حماها كواعظ: الموضوع عدّي وحصل خير.  
- تصرخ منار: عدّي! الولاد مرعوبين مناموش من الخوف.  
يضيق صدر حماها فيعلو صوته: اسمعي ،أتحملني وحافظي على بيتك،وعياللك،  
العيب فيكي إنتي متمردة ،أي زوجة محترمة تنسى، لحظة شيطان وتكمل تحت  
طوع جوزها.تفيق منار من ذكرياتها على صوت بكاء امرأة تستند على ذراع  
ابنتها وجهها ملئ بالكدمات ويسيل الدم من رأسها .تفزع منار من شكل  
السيدة وتقوم مسرعة لمساعدتها .  
- تنظف منار الجروح :حببيتي جروحك محتاجة خياطة في المستشفى .  
- السيدة: يا رب يكرمك يا دكتورة المستشفى بيعملوا محضر وسين وجيم.  
- تتسائل منار: إنتي عملي حادثة ؟

- السيدة: جوزي ضربني.

تتجمع مشاعر الغضب والكراهية للظلم في تجمع غريب لتنتطق بعد فترة:  
ضربك ليه؟ عملي إيه لكل دا؟

- السيدة وهي تبكي: طلبت فلوس أجيّب أكل للعيال .  
ويعلو صوتها بالبكاء: هو ملهوم على واحدة ومضيع فلوسه عليها ولا  
بيصرف علينا .

- منار: عاوزه اطمئن إن مفيش كسور .

- السيدة: هيضربني تاني ومش بعيد يطردني أنا والبنات ،هنروح فين؟  
- صوت السيدة غير واضح من تريف أنفها وورم شفيتها والبكاء المرير: على  
الأقل إحنا بين أربع حيطان، أبويا مِتّ وجوز أُمي يقول وأنا مالي ، حتى أبوه  
وأمه قالوا: ناخذ الولد بس وطرديني أنا والبنات ،نسيوا إن البنات لحمهم .

- منار: يعني مفيش حد قادر عليه؟!

- السيدة: والله يا دكتورة الكل بيخاف منه ، ولما حد يكلمه يتخانق معاه

لما شكله لا مؤاخذه بقى « فانلة»

تستغرب منار تعبير « فانلة» ولكنها لم تستطع حتى الابتسام .تنصرف  
السيدة بعدما ضمّدت منار جراحها وأعطتها مسكّن وما زالت السيدة  
تبكي وتشكو إلى الله .

تجلس منار غير مصدقة ما رأت تستغفر ربها متسائلة: سبحانك ربي  
لم أرسلتها لي الآن؟!

تغمض عينيها ورأسها بين يديها مستندة على المكتب: اللهم لك الحمد ،  
أعلم أنّي أفضل من غيري بكثير، ساعدني يا رب وصبرني.

عاد الأولاد من المدرسة ،تحاول منار التحدّث معهم وتسالهم عن

يومهم

- يتنبه ابنها لتغيّر وجهها : مالك يا ماما، بابا عمل حاجة تانية ؟

- تبتسم منار : لا يا حبيبي خالص.

- الابن: والقضية ؟

- منار: إن شاء الله القضية هتخلص وآخد براءة ،المحامية أكدتلي صدقني.

تجاهد منار لبلع طعام الغداء مع طفلها صامتين جميعاً يحاولون إخفاء  
دموعهم عن بعض.بعد الغداء ،تجلس منار مع طفلها لحل واجباتهم  
المدرسية حتى ينتهوا منها.تجهّز منار الفاكهة والعشاء وهما يشاهدان  
الكرتون ثم تدخلهما فراشهما حتى يناما ولكنهم لا ينامان .

- منار: مالكم حبايي في إيه ؟

- الابنة: خايفين لما تتحسبي بابا ياخذنا تاني .

- منار: لا ،لا ميقدرش، صدقوني ، القضية هتخلص .

تنزل منار الفترة المسائية وهي ما زالت تفكر في السيدة المضروبة وتعبير فانلة الغريب محدثة نفسها : أكيد تعبير فانلة دي شتيمة.

تنتهي فترة العمل المسائي وتعود للبيت وتطمئن على الأولاد وتنتهي من بعض الأعمال المنزلية وتجهز حقائبهم وملابسهم المدرسية . تدخل السرير مجهدة وتفتح التليفزيون لتجد مشهد لنادية الجندي تصرخ بملابس السجن بعد الحكم عليها ، فتسرع منار بغلق التليفزيون وتغذف بالريموت بعيداً وقد تصارعت دقات قلبها وتصيبت عرقاً خوفاً مما ينتظرها .

تحدّث منار صديقتها في محاولة الانشغال عن مشهد نادية الجندي ، تسألها الصديقة عن تطورات القضية ، فتحكي منار لها وأيضاً عن السيدة المضروبة وعن مقولتها « شكله فانلة»

- تضحك الصديقة قائلة : جوزك زي الراجل دا « شكله فانلة» لأن الراجل المحترم ميلفقش قضية لمراته أم عياله، وإن شاء الله يتعري ويتفضح ، (وتضحك) ويطلع قدام الناس «فانلة»

- تضحك منار: على كدا بقى الراجل المحترم يبقى اسمه بدلة .

- تكمل منار: اللي مخوفي إن القضية تبع نظرة القاضي للقضية (كما قالت الخامية ) ، والتحريرات أثبتت تركيب التليفون والشقة مش باسمي . تنزل دموع منار وتكمل : عارفة إني غلطانة لأني متابعتش خطوات تقدم طلب التركيب، عمري ما فهمت في شغل هيئات الحكومة ولا اللف على المكاتب ، فلما اتبرع جوز إعتماذ صديقتي وهو شغال في السنترال بتركيبه ، فرحت إنه خالص الموضوع كله، أساساً معرفش إن عقد الشقة من طلبات التركيب ، فكتب لي عقد صوري مش متسجل .

- الصديقة تحاول تهدئتها: بلغي عنه هو الغلطان.  
- منار: لا طبعًا، كان عاوز يخدمني وهو جوز إعتماذ في الأول والآخر،  
وعندهم ولدين و بنت ، هيتفصل من شغله، بالإضافة إني عرفت إن معظم العقود  
في السنترال صورية ومش مسجلة.

- تسألها الصديقة: هو جوزك فصل التليفون اللي باسمه من البيت ليه؟  
- منار: علشان يأدبني لأني طلبت بابا لما حاول ضربي، ومش بستغني عن  
التليفون علشان أطمئن على الأولاد، إنتي عارفة الموبايل دقيقتة ١٧٥ قرش، مش  
عملي ، وولادي صغيرين على الموبايل، والمدرسين مش كلهم معاهم موبايل .

تحاول منار النوم ولا تستطيع وتقوم لتصلي وتقرأ قرآن، حتى تشعر  
بالهدوء والبرودة في عروقها، ورغبة في النوم. ترى منار في منامها رجلًا ذا  
لحية بيضاء ملامحه غير واضحة، ضخم، هيئته مهيبه، يرتدي بدلة سوداء، يجلس  
على مكتب نفم، وخلفه على الحائط صورة لميزان.

- تسمع صوت يقول: الحل عنده .

- فتسأل الصوت : ومن هو؟ أين يوجد؟

- ويجيبها الصوت: أمام الحديقة الكبيرة.

تصحو منار من نومها على أذان الفجر فتقوم؛ لتصلي، متسائلة من هذا  
الرجل؟ فهي تشعر أنها رآته، فهيئته وشكل المكتب ليسوا بغيريين عنها .

يرن جرس التليفون ،ترد منار فتجد صديقتها تطلب منها الحضور لبيت  
عمها الذي عاد من العمرة ، لأخذ رأيه في القضية فهو قاضٍ في محافظة  
أخرى وله خبرة واسعة.

تنزل منار مسرعة لعم صديقتها، فهي تعلم مكانه كانت قد ذهبت إليه قبلاً.

قبل أن تصعد لشقته تنظر للنافورة المقابلة لبيت العم، فهي تحب شكلها وصوت المياه، يعطيها حالة من الهدوء والبهجة فتجدها لا تعمل لتبتسم بسخرية: «هي جت على النافورة» يرحب بهما العم وتشرح له القضية وأنها لم تكن تعلم بأمر العقد، وتساءله إن كان تحويل العقد لخبير خطوط بالطب الشرعي لإثبات برائتها دون إيذاء الموظف (زوج اعتماد) يوافق العم على الاستكاب، ويطلب منها إرفاق أوراق الخلع وقضايا النفقة وشهادات ميلاد الأولاد، وما يثبت أنها من ترعاهم لأوراق القضية ويؤكد: الاستكاب سيكشف الحقيقة، إياكي تطليه إن كنتي كتبتي العقد. تؤكد له منار أنها لا تعلم بأمره أساساً إلا من القضية. يسألها العم عن تاريخ الجلسة ويطمئنها بالحصول على البراءة إن لم يكن درجة سيكون في الاستئناف، حتى ولو رفقا للأبناء. تضحك منار وهما ينزلان: عمك محترم قوي، وتذكر كلمة السيدة المضروبة فتعلو ضحكتها قائلة: أهو عمك شكله بدلة... لا عمك بدلة شيك.

يتصل طليق منار محاولاً مساومتها على القضية والنفقة المتراكمة عليه بجانب كل قائمة منقولاتها.

- مش مشكلة، أتنازل، سيب لي أوضة الأطفال بس.
- ولا دي كمان.
- ولادك هيناموا فين؟ فكر في ولادك، مشكلتك معايا أنا، الولاد ذنبهم

- وتتنازلي عن الأولاد كمان .
  - من يراعيههم؟ لا أنت تقدر ولا مامتك صحتها تساعدها .
  - مش مشكلة المهم بتحسسي وتتأديي، مش أنا اللي أخلع يا هاتم .
  - مفيش تنازل عن الأولاد ،أتنازل عن كل شيء إلا هم .
  - وكل دهبك .
  - خد كل اللي اشتريته لجوازنا حتى الشبكة.
  - لا كلة ، دهبك كله .
  - الباقي هدايا من بابا .
- يغلق الزوج المكالمة مع الكثير من الشاتم والتوعده. ظلت منار راقدة في سريرها لا تستطيع القيام ولا البكاء من الرعب. ماذا سيحدث لابنتها لو حُك عليها بالحبس، فقد سبق لأبيها ضربها على وجهها، وكسر أسنانها الأمامية لإلحاحها لرؤية أمها. وما زالت تنظر لسقف الحجرة تارة وتغمض عينها تارة أخرى، منتظرة الحكم حتى رن جرس التليفون.
- ترفع منار السماعة سريعًا : ألو .
  - المحامية وصوتها كله فرحة : مبروك يا منار.. براءة .
  - منار: بجد يا أستاذة براءة بجد!
  - المحامية : بجد يا قمر .
  - منار : متشكرة قوي يا أستاذة ،مش مصدقة..
  - تقاطعها المحامية: تخيلي يا منار مين القاضي اللي حكم في القضية؟
  - منار : مين؟ أنا معرفش قضاة !
  - المحامية: تعرفية كويس ،المستشار عم صديقتك .
  - منار : لا هو في محافظة تانية.

- المحامية: لا أنتقل هنا من فترة قريبة.
- منار: قابلته من كام يوم ومقالش حاجة!
- يجري شريط سريع .. الحلم ... الرجل ذو اللحية البيضاء... النافورة في الحديقة الكبيرة أمام بيته .... تحدث نفسها: آه انشغلت بتوقف النافورة ونسيت إنها بالحديقة الكبيرة كما بالحلم .
- المحامية: منار بتقولي إيه؟
- تصرخ منار: دقته .. آه..... لكن؟! القضاة ممنوع تربية دقوتهم.
- المحامية : مش فاهمة قصدك إيه؟!
- منار: لما قابلته كان له لحية .
- المحامية : يا سلام، حلقها ، إيه المشكلة؟ هو كان في عمرة ورجع ،مش فاهمة قصدك إيه؟
- منار : قصدي ربنا كبير قوي رزقني ببدلة تحميني من الفانلة.

## كلمهم بحنّرة (العيسى)

سلمى مسترخية تقرأ باستمتاع قصيدة لنزار قباني (الذي تعشق قصائده) وقد أنهت للتو من قرائتها للمرة العاشرة انتفضت سلمى على صوت زوجها عاصم يصيح بعصبية: عقب سيجارة عليها «روج» يا هانم... تاني ... إيه مفيش احترام لكلامي!

تصيح سلمى غاضبة: في إيه؟ قلتك مية مرة صوتك بيفزعني.

عاصم مستمر في عصبيته وصوته العالي: لأ هفزعك لغاية ما تسمعي الكلام... بتجي تحرقني دمي ليه؟ أنا نبهتك ومفيش فائدة... سيادتك أخذتي سيجارة من العلبة من غير إذني.

- سلمى تنظر للسقف: استغفر الله العظيم ..هتفرق؟ لو أخذت إذن سعادتك...مثلاً صحي مش هتضرر ولا أنا عيلة صغيرة لازم أخذ إذن بابا!
- الزوج مصطنعاً الهدوء: قلنا تشرى سجائر معايا ولما ادليك بنفسى بس.
- زادت عصبية سلمى : يعني كل سيجارة بإذن حضرتك. و تسير سلمى باتجاهه واضعة يديها في وسطها: لما يجي مزاج حضرتك تديني (وبصوت عالٍ) ومزاجي أنا فين؟ افرض جالي مزاج وأنت نائم ( تضع سباتها في جانب رأسها): ومليش مزاج لما تديني..يعني أربط مزاجي ب....
- قاطعها عاصم: عارف استني ( يجلس مترعبا ويقلدها): أنا إنسانة زيي زيك ليا كيان مش أقل منك. ويكمل عاصم: ومهما قلتي هي كدا، متشربيش سجائر من غير إذن. (ويربت على كتفها): واضح؟
- تقطب سلمى جبينها : لأ مش واضح نهائي ، أنت بتشرب علبة سجائر كاملة، وأنت بتتفرج على الماتش لما بتخنق من الدخان، وخنافة على سيجارة واحدة ليا.
- وتكمل وهي منفعة وعاصم صامت ينظر لها بابتسامة ليغيظها: ولما أقول كفاية سجائر تقول مش بستمع بالماتش إلا بيها .. وأنا كمان ، مش بستمع بالقصايد إلا مع سيجارة... سيجارة واحدة!
- عاصم ما زال مبتسماً فرحاً بغضبها : أيوه أنا متعود على كدا .
- يكمل عاصم وهو يضغظ بسبابته بين حاجبيها وبلهجة أمرة : متعمليش راسك براسي.

- تحاول سلمى عض إصبعه فيسحبه بسرعة: ظلم. بلهجة سخريه له: ولا يكون شرب سيجارة يلزمه محرم؟ طبعًا أبقي أنا والسيجارة والشيطان تالتنا! حرام!

- عاصم مستمر في طريقته ويشعل سيجارة قائلاً: السجائر وحشة على صحتك ، خلاص مش عارفة تقري القصيدة من غير سيجارة؟ مش حلو تتعودي عليها.

- سلمى: أنا لو هتعود كنت أتعودت من زمان.

- يضحك عاصم وهو يرى احمرار وجه سلمى وهي تمز ساقياها بعصبية ويقول كمن يهتف: الله يسامحك يا عم نزار ، أنت اللي قويتهم علينا.

- سلمى: موافقة ، كل كلامك صح، لما أحب أشرب سيجارة هصحك من النوم وأستأذذك.

- يضحك عاصم محذرًا: أقطع رقبتك.

- سلمى: والحل إيه من وجهة نظرك؟ أأجل استمتاعي بالقصيدة لغاية ما تصحى فخامتك؟

- يستمر عاصم في إغاضتها: أينعم.

- تحاول سلمى استعادة الهدوء: والله نزار عبقرى ..، القصيدة مرسومة عليك... اسمع كدا.

- عاصم مقاطعًا: لاااا أنا مش رايقلك إنتي وهو.

ويشير لها على رأسه علامة الانشغال.

تنظر سلمى له باستعفاف ليسمعها ويخفي فرحه باستعفافها مصطنعاً  
الضيقة بقطب جبينه، وكأنه يتنازل باسماعه لها: اتفضلي.

تسعر سلمى بالحماس: دي قصيدة اسمها «رسالة إلى رجل ما»

« يا سيدي العزيز هذا خطاب امرأة حمقاء هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء»  
- يضحك عاصم ضحكة عالية: اعتراف جميل... وأنا ليه أسمع امرأة حمقاء.  
- ترد سلمى بحسم: متقاطعينش.

وتكمل :

«اسمي أنا؟ دعنا من الأسماء.....رانية» « أم زينب أم هند .....أم

هيفاء»

- يغمز عاصم بعينه ويرسل قبلة في الهواء: ياريت هيفاء.

تنظر سلمى له بطرف عينها وتكمل القصيدة بتحد:

- « أسخف ما نحمله يا سيدي... الأسماء»

يقاطعها عاصم بمرح : لااااا تفرق سلمى من هيفاء، ويضحك ضحكة عالية.

تجاهله سلمى رغم غيظها منه حتى لا تحقق غرضه بإغاظتها وتكمل:

« يا سيدي أخاف أن أقول ما لدي من أشياء»

« أخاف لو فعلت أن تحترق السماء»

« فشرقكم يا سيدي العزيز بصادر الرسائل الزرقاء»

«بصادر الأحلام من خزائن النساء»

«ممارس الحجر على عواطف النساء»

تسكت سلمى لتأخذ أنفاسها.

- عاصم: خلصتي؟ عرفنا إننا متخلفين.

- (يرفع عاصم كتفيه لأعلى وهو يلوي شفثيه) : تعلمي إيه في واحد متخلف.

- تصل سلمى لقمة غضبها : يرحمنا من تخلفه ويتطور \_وبصوت عالٍ\_

ويعرف إني إنسانة زيه ، أشرب سيجارتي وقت ما أحب.

- عاصم: افهمي \_مقلداً شعر نزار\_ يا أغبي النساء.

- تعجبه الكلمة فيطلق ضحكة عالية ويغمز بعينه: إيه رأيك؟ حلوة؟ ..

حلوة أغبي النساء دي.

- ويضع يده على كتفها بحنان: هتعودي على السجائر، والناس تقول

عليكي صايعة وجوزك اللي هو أنا (مبتسماً ابتسامة خبيثة) لا مؤاخذة.

- يسير نحوها محاولاً احتضانها ويتسم في حبثٍ متسائلاً: ينفع أبقى لا

مؤاخذة؟

- تبعد سلمى ذراعيه عنها وتسأله بسخافة مقطبة الوجه: إيه العلاقة بين

السيجارة وال «لا مؤاخذة»

- عاصم: ولا حاجة ، اترينا على كذا... تقاليد وأصول هيقولوا «سايك

كدا»

- سلمى تشير له محذرة: إيه بقى سايك كدا!؟

**يحرك عاصم كتفيه كالراقصات وهو يضحك ولا يرد.**

- تجلس سلمى أمامه: ليه التفكير بعنصرية؟ فكر بجيادية شوية ونشور على

تقاليد، وعادات ذكورية بالية \_ثم تتهد\_ ويكون تفكيرك زي نزار.

تعود سلمى تمسك بالقصيد : اسمع ، اسمع الرقي .

« وشرقكم يا سيدي العزيز يصنع تاج الشرف الرفيع »

« من جماجم النساء »

- يخط عاصم كفيه ببعضهما : سلامة جمحتك يا حي .

لم تنتبه سلمى لاستغراقها في القصيدة أن عاصم يتسلى وقد أعجبتة اللعبة .

وتكمل : « خارج الحجرة صوت الريح والكلاب »

« يا سيدي عنتر العيسى خلف بابي »

« يذبحني .... إذا رأى خطابي »

« يقطع رأسي .... لو رأى الشفاف من ثيابي »

- يحاول الزوج اصطناع الجديدة : طبعًا... تنقطع راسك.. شفاف إيه اللي

تلبسيه؟ ويكمل متعجبًا: أهو دا اللي ناقص، عاوزه إيه فهميني؟ سيجارة تعمل

كل دا ، سنتك بيضا .

- ويتابع بصوت عالٍ : ماله عنتر مزعلك في إيه؟ ..... فارس شههم مرضاش

يكون لا مؤاخذة .

- زاد احمرار وجه سلمى وهى تتكلم بحنق : لاااااااا ، عنتر مفترى وظالم ومغتصب

وخاين كل غزوة يتجوز واحدة جديدة ، ويغتصب واحدة تانية ويرميها ومعها

طفل من سيادته ولا يبسال عنهم تاني، واللي يعيظ عبلة الهبله تستنى حضرته

بالحب والهيام، وتقولي فارس!

- يلاحظ عاصم احتقان وجه سلمى فيشفق عليها، فيبطب على صدره

علامة الأسف : كملّي.

- تجلس سلمى عاقدة يديها على ركبتيها ولا ترد فيتقدم منها قائلاً: صدقيني مش هقاطع.

### تنتحى سلمى وتكل:

«لو أنا عبرت عن عذابي»

«فشرقكم يا سيدي العزيز يبايع الرجال أنبياء»

«ويطمر النساء في التراب»

- يرفع الزوج إصبعه كتلميذ في الفصل: إنتي كترتي الموضوع وهو بسيط أساساً.

- ترد سلمى بحدة وهى ترجع شعرها للخلف: لا ، القصيدة توصيف واقعي لأرائك وأفكارك.

- يحاول الزوج تلطيف الجو قائلاً بهدوء: نساء مين اللي تطمر فالتراب؟ (ويشير إلى نفسه ويكمل): يا أمي إحنا اللي بنتقطع ونأذن كمان. ويمصمص شفثيه قائلاً بطريقة الفقهاء والمشايخ: رحمة الله عليك يا عنتر.

- تحاول سلمى التحدّث بهدوء: لما تمنعني من سيجارة إلا بإذنك وأبقى صابغة لو شربتها، يبقى حقيقي طمر في التراب. وتكمل: سي عنتر زمانه راح ، لو موجود سيادته حاليًا كان اتخلع أو اتقطع.

- عاصم: كفاية جدال ... اسمعي الكلام الناس هتاكل وشي لو سمعوا أفكارك.

- سلمى باستغراب: وياكلوا وشك ليه!؟

- عاصم وقد تعب من الجدل : أسئلتك مستفزة! ويكمل بعصية: المفروض إنك مراقي، هيقولوا مش عارف يلتمها.
- تمسك سلمى برأسها: تلمني أنا...؟... له متبعترة! أفكار جدك دى المفروض تنساها، عيب بقى.
- عاصم: عيب !
- سلمى: أيوه طول الوقت تتكلموا عن التطور وحقوق المرأة كلام وبس. إنما الاقتناع داخلكم بمحددات قديمة.
- يتسم الزوج رافعاً حاجبيه، ويحول عينيه مقلداً عادل إمام ولا يرد.
- سلمى: استهزائك بيضايقني ، احترم كلامي من فضلك.
- عاصم: مقصدش، عاوز أضحكك ، محدات إيه؟
- سلمى: محدات العيب ، مين اللي يقول دا عيب ودا لا؟
- عاصم: أهالينا الكبار اللي بيقتهموا أحسن مني ومنك.
- سلمى: لا.. الرجال هم اللي حددوا العيب على كيفهم؛ علشان يتحكموا فينا.

أشار عاصم لسلمى بانتهاء الكلام، ومشى باتجاه الحمام، فزاد من غضب سلمى، فمشت خلفه تسابقه لتكون بجانبه .

- كفاية بقى تطلع رحلات مع أصحابك وتمنعني حتى من الخروج مع أعز أصحابي، رغم إنك تعرفهم وواثق في أخلاقهم.

يدخل عاصم الحمام قترفع سلمى صوتها ليصل أذن عاصم :

- تخرج كل يوم... كل يوم \_ وتقلد صوته \_ وأنا ممنوع، ممنوع، الست المحترمة متخرجش كل يوم. آه وكمان ممنوع السؤال عن حاجة تخصك ، وكل اللي يخصني تعرفه ، وتدخل حتى في علاقاتي بصديقاتي كلمي فلانة وعلانة لأ..... كلكم عنبرة العبيسي.

يخرج الزوج من الحمام رافعاً عينيه إلى السقف يفكر ، كيف ينهي الجدل؟ ولولا حبه لها لأسكتها.

- تقف سلمى بجانبه وهو يجفف وجهه وتحدث وكأنها تلقي خطبة: لما الراجل يخون كل الناس يطلبوا من الست أنها تغفر له، ومتخربش البيت لأن ست تانية خطفته وضحكت عليه، وكأنه طفل صغير ميعرفش الصبح من الغلط..... والست تنقتل مجرد الشك فيها، مع إن الله \_ تعالى \_ ساوى في العقوبة بينهم في الخيانة وفي كل الأخطاء.

- يصفق الزوج : خطبة جميلة إنتي فاضية ، اعلمي كيكة نفسي فيها ولا كرم كراميل أهو .. يبقى استفدنا بدل خطبك العصماء.

- سلمى: أنت عارف إن كلامي صح ، لكنه ضد مصلحتك. وتكمل: اعمل أنت الكيكة وأنا هخرج مع أصحابي.

- عاصم : الله أكبر ، ماشي. ماشي معمل أنا الكيكة ، لكن تنفقي على الخروج من غير ما تقولي ، كلام جديد جميل.

- سلمى: إيه المشكلة؟ قررت دلوقتي، وقلت لك ، تبقى عرفت خلاص.

- عاصم: يا هاتم أعرف قبل ما تقرري.

- سلمى: قبيل ما أفكر أساساً؟ وتكمل: المهم إنك تعرف قبل ما أخرج.

- عاصم: دي ثورة بقى ، أنا متجاوز هدى شعراوي.  
- سلمى: أيوه ثورة ، والمفروض تساعديني فيها.  
يجلس الزوج مبتسماً ببلاهة مشيراً لنفسه ، يهز رأسه علامة الرفض ،  
وقد ربط رأسه بالقوطة بشكل كوميدي.

أمسكت سلمى بالكاتب وتقرأ:

« لا تنزعج سيدي العزيز من سطوري ، لا تنزعج »  
« إذا كسرت القمقم المسدود من عصور »  
« إذا نزعت الخاتم الرصاص عن ضميري »  
« إذا أنا هربت من أقبية الحریم في القصور »  
« إذا تمردت على موتى على قبرى على جذوري والمسلخ الكبير »

انتفض عاصم للكلمتين الأخيرتين:

- يا هار أسود، إيه المسلخ الكبير دا؟ ويعلو صوت عاصم وهو يدعو: الله  
يسامحك يا عم نزار ، بنتعابر بأشعارك.  
- سلمى: هو اللي يقول الحق غلطان؟ أيوه مسلخ كبير قوى كمان. عرفت  
قضية أب صعيدي دبح بنته زي الخروف لمجرد إنه لاحظ بروز بطنها على غير  
المعتاد ، سألوها على طول مين اللي عمل كدا ؟ أنكرت الموضوع أساساً ،  
ببساطة دبحوها، ليتضح بعد عرضها على الطب الشرعى إن بيطنها ورم كبير ....  
واللي يجنني إن أمها زغردت بعد اكتشاف الورم.  
- عاصم: طبعاً تزغرد ، تفكيرهم وثقافتهم في الشرف تخلي أمها ترقص، الله  
يرحمها، نصيبها كدا.

- سلمى: بتكلم بيروود كأن اللي اندبح فرخة \_ وتدمع عينا سلمى \_ كلكم كدا مفيش إحساس، كان عنده حق نزار لما قال:  
« لا تنزعج سيدي إذا أنا كشفت عن شعوري»  
« فالرجل لا يهتم بالشعر ولا الشعور»  
« الرجل الشرقي.. واغفر جراتي لا يفهم المرأة»  
« إلا داخل السرير»

يبتسم الزوج ابتسامة كبيرة شقية قائلاً: أحسن فهم.  
تجاهله سلمى وتكمل:

« خرافة هي حرية النساء في بلادنا»  
« فليس من حرية أخرى سوى حرية الرجال»  
- يقف الزوج: خرافة ، ممتاز واضح إنك فهمتي ، كفاية أنا زهقت.  
ويتركها ويمشي.

- تمشي سلمى خلفه: قلت لك متستهزأش بكلامي ولا بمعتقداتي..... نزار شرقي زيك وأكبر منك في السن وعاش في زمن قبل زمنك... ومع ذلك عقليته متطورة أكثر منك.

- عاصم : إنتي عصبية ، ومش طبيعية، في إيه؟

- سلمى: في كل اللي قلته، وزود الشيخ أبو دقن بيضا في الدولة اللي بتلم المشايخ، يتهم المغتصبة إنها الغلطانة لأنها أكيد بتلبس ملابس تثير المغتصب المسكين ، ولو كانت منقبة برضو غلطانة؛ لأنها أكيد نظرت للمغتصب نظرة مثيرة، ويكمل الطين بله ، إن النساء أصل كل شر ومفسدة.... بدمتك دا كلام



## لعبة سوسو

تتحرك مرام ببطء بين الأنثيكات واللوحات في الجاليري ، تتابع العمال أثناء التلميع والتنظيف بملل .. صامتة، تفكر في قص وصيغ شعرها ، تبسم ابتسامة خفيفة لتذكرها آخر مرة جعلت شعرها ملفلاً كشعر الأفريقيات ووضعت كريم أساس غامق فتغير شكلها تماماً ولم يعرفها أحد وظلت تضحك من شكلها أيام قليلة، ثم عادت إلى أحضان الممل مرة أخرى.

تفكر بماذا تطرد الممل؟ برحلة سفر هنا أو هناك، أم تنزل للتسوق وتغير نمط ملابسها وزينتها.

كانت هذه طريقة مرام للهروب من حالة الصمت والممل وقلة النوم. يرن جرس الموبايل فتمشي مرام بنفس البطء للرد وما إن وصلت لمكتبها توقف الرن.

لم تهتم بمعرفة المتصل وألقت الموبايل على المكتب، وما إن جلست حتى رن مرة أخرى، أمسكت الموبايل لتعرف المتصل لتتسمر عيناها على الاسم المكتوب... يا الله هو..هو.

واصل التليفون الرنين حتى ردت وهي تحاول تنظيم أنفاسها، لكي لا يظهر اضطرابها، يأتي صوت أحمد رجولياً عميقاً كما هو:

- مرام حبيبي وحشاني.
- تنجح مرام في إظهار الهدوء: أهلاً أحمد، أخبارك؟
- الحمد لله والقمر أخباره إيه؟ من زمان مسمعتش صوتك.
- مشغولة... خير يا أحمد في حاجة؟
- إنتي اللي في حاجة؟ أقولك وحشتيني وتردي \_مقلداً صوتها\_ خير يا أحمد، يعني لخص يا أحمد، انجز يا أحمد، من أمتي وإنتي قليلة الذوق كدا؟
- أنا اللي قليلة الذوق؟ خالي بخير؟
- أمي بخير يا مرام،... كفاية سخافة بقى، إيه موحشتكيش؟ (ويكمل بتودد) مفيش وحشتي يا حمادة؟ نسييتي خلاص؟ أنا....
- مرام وهي تقاثل نفسها للاحتفاظ بهدوء صوتها: إيه اللي فكرك بيا؟

صدم أحمد من سؤالها وطريقتها فهو لم يعتد ذلك، فقد كانت محبة  
حنونة متلهفة عليه، لا ترى غيره في الوجود ، تنتظر حضوره بشوق غير  
عادي ، ويوم يأتي يكون لها كيوم عيد .

- يعلو صوت أحمد من عصبته: إيه البرود دا؟ بتقفليني منك ليه ؟ أحب  
أعرفك لو كنتي متضايقة من عدم اتصالي السبب ، اتصل بأي نفس بعد إهانتك  
الكبيرة ليا .... جرحتيني برفضك وقلت لك مية مرة إني ما اتحملش شعور إني  
مرفوض... ( بصوت حزين ) حقيقي مش قادر أنسى .

- تضحك منار بسخرية ممزوجة بمرار: ولما مش قادر تنسى اتصلت ليه؟

- وتكمل: عاوز إيه يا أحمد ؟

- أحمد محاولاً التودد: عاوزك تكبري وتبطلي شغل البنات الصغيرة ، طبعا  
متصل لإنك وحشتيني جداً ومحتاجك يا مرام ....زهقان من العيشة وإنتي  
ست العارفين الإنسان لما بيتعب بيلجأ للي بيحبه \_وبنعومة شديدة\_ مش إنتي  
حبيبتى؟

تسمعه مرام وهي صامته ودموع كثيرة متجمعة في عينيها وترفض  
نزولها فتبتلعها.

إنه أحمد ابن خالتها الوسيم والجذاب .. المعروف بغرامياته وعلاقاته  
النسائية ، والتي لم يكن وفياً في أي منها لأي امرأة.

لم تكن مرام منتبهة أن اهتمامه بها ومحاولته لتخفيف صدمتها في وفاة زوجها المفاجئة ثم قضايا الميراث مع أهل زوجها المتوفي ما هي إلا طريقة من طرقه لاجتذابها له ، تلك هي هوايته ... النساء ، ولكل منهن طريقة في خداعها تختلف عن الأخرى ، لم يمر بخاطر مرام أنه بلا أخلاق لدرجة خداع ابنة خالته في وقت ضعف وحزن بغمرها بالحنان والمساندة لينالها بكافي النساء.

فكان أحمد يستमित لإخراجها من حالة الانطواء والصمت فيذهب إلى الإسكندرية أسبوعياً، حيث تعيش مرام، أسبوعياً تاركاً عمله وأولاده للتفریح عن « لحمه ودمه » كما كان يقول بشأنها ويأخذها في جولات بطول الإسكندرية وعرضها ، يأتي صباحاً ليفطر معها في الجاليري بما أعدته للإفطار، ويبقى معها اليوم بطوله في جو مرح، وفعل كل ما يمكنه لإسعادها حتى أنه جذبها من يدها وجعلها تجري معه تحت المطر وتستمع بالمشي معه على شاطئ البحر في عز البرد، وينصرف مساءً بعد تناوله العشاء معها .... حتى اعتادت وجوده في حياتها سواء بحضوره أو بمحادثتهما التليفونية الطويلة خلال الأسبوع حتى يحضر المرة التالية.

ولطالما قضت الأسبوع تفكر فيما ستعده له من طعام أو إلى أين ستذهب معه في جولتهما؟

ولم تأخذ عليه أنه لم ينفق جنبها واحداً في زيارته لها؛ مبررة لنفسها أنها المضيفة فهو في بلدها، وكيفيه تحمل مشقة السفر وغيابه عن عمله الذي يذكرها دائماً بأن كل دقيقة في عمله تساوي نقوداً.

ويكفيها تغير طبعه من أجلها، فهو شخص غير خدوم لأي إنسان إلا إن كان عنده مصالح معه ولا مصلحة لأحمد معها...!!!

سألته ذات يوم، لم يجهد نفسه بالحضور وهو لا يفعل ذلك لأحد أبداً؟! ليجيبها أن الجميع يظلمه ولا أحد يفهمه بالإضافة إلى أنه «يحبها»... ضحكت مرام من لفظة «حب» فهو قاسي القلب مع كل الأقارب لكنه أكد لها أنه حب رجل لامرأة وليس حب أقارب.

وعلى قدر ذهولها كان فرحها وتبعه خوف وعذاب ضمير فهو متزوج، وماذا ستفعل وقد اكتشفت أنها متيمة به.

عاشت بعده أسبوعين لم تعرفهما من قبل حتى مع زوجها، لا تشعر بخطواتها على الأرض، وصدقت ما كانت تقرأه في القصص العاطفية أن المحب يطير بين السحاب.

تكتشف مرام نفسها من جديد، كانت تتصور أنها ماتت بعد زوجها، وفوجئت بقلب نابض وروح محبة للحياة متفائلة مرحة سعيدة بلا سبب إلا هو... أحمد. وبعد الأسبوعين انكشفت حقيقته.....

- مرام إنني سمعاني.

- سامعك، وفهمت إن أنا ضيعتك مني بقسوتي وبرودي.

- لا يا حبي، إنني ست الستات وأحن إنسانة وتمنعي حنانك عنى رغم حبك

ليا، ولا تقدرى حبي وتعذيني بالرفض.

- تقصد أرفض علاقة سافلة، وتانى بسالك افتكرتني ليه، وأنا لسه رفضاك؟

- يعلو صوت أحمد ثانية، بعدما شعر بفشل خطته بالبعد عنها لترسخ له:ردودك غبية زيك، أنا واثق إنك متعذبة لبعدي عنك، بتكابري ليه؟ وتضحى بحب كبير عشان مبادئ محمش فاكرها .

- تفقد مرام أعصابها فتزد بحدة : الخوف من الله مبادئ محمش فاكرها... الحرام.....

- يقاطعها أحمد: الحرام بتعمليه كل دقيقة ، خافي ربنا في شعرك اللي نازل لنص شهرك، وجيبتك القصيرة ولا مكياجك ، كل أفعالك حرام، ولا الحرام على كيفك، تعملي حرام اه وحرام لأ ، كله زي بعضه حرام.

- مرام: لا يا مولانا في معصية وفي كبيرة،وغير كدا كرامتي ليها ألف حساب .  
- يعود أحمد لمغازلة مشاعرها بتريق صوتته : كرامتك على راسي، مين يقدر بحس كرامتك وأنا معاكي.

- مرام: أنت، أنت هتدوسها مش هتمسّها ، أنت متعرفش إن المنود بيتمسكوا بعذرية البنات والبوذيين بيحرموا الخيانة وهم مش أهل كتاب ، لأنهم بينظروا لعلاقة الرجل والست على أساس أخلاقي، والخيانة هي ضياع كرامة عندهم ، طبعا أنت ولا حاسس باللي أهذرت كرامتهم وعذبتهم.

- أحمد: بتكلمي عن مين؟

- مرام: أولاً مراتك، ثانيًا كل واحدة وهمتها بحبك؛ علشان تنولها وتسيبها أو تقول معرفهاش زي ما حصل مع واحدة منهم ، فاكرا ولا نسيت.

## يسكت أحمد ولا يرد.

- فتكمل مرام: أوعى تقول محصلش ورغم إن ربنا أنتقم منك في الست الوحيدة اللي حبيتها ، أو حبيت علاقتك معاها. أنا أشك إن عندك قلب يحب أساسًا.

- يرد أحمد وقد تسارعت أنفاسه: مش فاهم أي كلام ولا هبل بتقوليه، قصدك على إيه ومين؟

- ترد مرام بسرعة بصوت يحمل كل الشماتة: شاهي... مش اسمها كدا صح؟ شاهي؟

- أحمد : أنا معرفش واحدة بالاسم دا.

- تضحك مرام بسخرية: متعرفهاش ، قوي جدًا خالص وما زالت تضحك شاهي يا راجل .. اللي خانتك مع صاحبك وعرفت قبل جوازكم بيوم ، شاهي اللي مرطت كرامتك وسط أصحابك بخيانتها وسيادتك كنت هتديها اسمك وشرفك.

سكت أحمد تمامًا لا تسمع مرام منه إلا صوت أنفاسه ، فتضحك مرام ضحكة عالية : وشريت يا جميل من نفس الكاس، ومع ذلك عاوز تعيد أفعالك ال...ليه يا أحمد؟ ليه عاوز «توسخ» النضيف مع إن ال.....  
كثير أوي.

- أحمد: الكلام دا كله غلط ، مين اللي قال كدا؟

- مرام: أمك.

- وتضحك ضحكة عالية جدًا.

- أحمد: أمي!

- مرام وهي مستمرة في الضحك: اه خالتي ربنا يكرمها ،حكمت لي عن كل غرمياتك وقصصك يا روميو لما لاحظت إنك مش بتيجي للإسكندرية ، ومرضي بعد اكتشاف كذبك وغشك ليا صحيح لما حكنتلي، مرضت زيادة وزاد ألمي لكنها آلام البتر وربنا شفاني بعدها.

- أحمد: بتر! إيه الهبل دا؟

- مرام: أيوة بتر، أنت عضو فاسد في الجسم لو سبيناك الجسم كله هيتصاب بالتفحيع ، بترتك من قلبي لكن مع الأسف، روحي جاهلها عدوى تقيحك فبترتها معاك ..... فهمت باردة ليه يا ابن خالتي.

- افهمي يا مرام، أنا بجدك بجد لكي مقدرش أتجوزك ، الولاد ومراتي هيعرفوا وهتبقى مشكلة.

- صح، أنت صح .. ابعدي عني لو عندك بواقى إحساس بكفاية ألعاب شوشو.

- أحمد وكأنه لم يعد في الوجود ، صوته خفيض أنفاسه غير منتظمة :شوشو مين؟

- تضحك مرام باستهزاء وقد استردت كامل ثقتها لإحساسها برد الصفعة له واسترداد جزء من حقتها: آه صحيح «شوشو» دا الشيطان بس بدلعه.

- دا ايه دا؟ بتدلعي الشيطان! ما إنني حلوة ورايقة.

- مرام وقد دخلت في موجة ضحك لا تستطيع إيقافها: طبعًا يا حيي وأنا عندي أعز منك لازم أدلعك.

- لا يرد أحمد لدقيقة حتى يستوعب ما قالت: آااه قصدك أنا الشيطان.

- أيوه يا شوشو أنت كبير الشياطين وتستحق الدلع.  
 - متشكر جدًا لكن اعرفي إنك مش ملاك ، ومش غلط إنك تحبي راجل متحوز.

- الحب من غير خطيئة أو إيذاء حلال طبعًا.  
 - إنتي مشوشة وأفكارك كلها غلط ، أنا مقدرش على حب من غير ملامسة...  
 بطفولتك الفكرية.  
 - وأنت الناضج فكريا بتساوي بين شعر مكشوف وعلاقة حرام ، سيني في حالي وإلا هقول لخالي ومراتك إذا اتصلت تاني.  
 يغلق أحمد التليفون بلا رد.

تضع مرام التليفون على المكتب وهي لا تشعر بالرضا؛ فهي لم تأخذ ثأرها كاملاً ، متذكرة لياليها وهي تحتضن المصحف بعد قراتها القرآن وكأنه درع يحميها من رغبتها في رؤيته وسماع صوته، ومقاومتها لنفسها في احتياجها له وشعورها بالاهمال منه ، ولا تستوعب أن كل ما كان خداعاً، وتصوره وهو يضحك منها في نفسه ونفخه بنفسه لإيقاعها في حبه حتى وإن لم ينل مراده. نتذكر شهورا وهي عليلة حتى شفاها الله، وعادت لحياتها وعملها، وعرفت أن القوة من ذاتها وليست منه. كانت على ثقة أنها ستأخذ بثأرها يوماً فعلقت بروازاً مكتوباً فيه إيه ( لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ) أمام مكتبها وفي مرعى بصرها دائماً.

وبذلت جهداً كبيراً للانتظام في العمل ، وممارسة أنشطة الحياة ولكنها حياة بلا مذاق. تتحرك مرام لتفريغ طاقة الغضب بداخلها، لتتوقف على فكرة قد تبدو شيطانية لكن حقيقتها ملائكية، ستجعل أحمد يمشي على

الصراط المستقيم، ولن يجروا على ألعاب شوشو مرة ثانية.

جرت إلى مكتبها وأمسكت الموبايل لتضغط آخر رقم اتصل بها، ليرد أحمد وقد تسرب الأمل له، فكان صوته أفضل مما تركته.

- أبوه يا حيي كنت متأكد إنك بتحبييني ومش ههون عليك، ها إمتي؟

ويجهد أن أنهى كلامه أطلقت مرام ضحكة ذات دلالة.

- لا. لا فهمت غلط يا حيي، كنت عاوزه أنضحك نصيحة، خد بالك من مراتك، يعني راعيها، دلعها. العب عليها زي ما اتعودت... وهي كارمة أفعالك، ومش بعيد ربنا يرزقها بشيطان زيك بخدعها وتستجيب له خصوصاً إنها زهقت من خيانتك (وتكمل حديثها بدلع مبالغ فيه) ياه يا أحمد بقيت أنسى أوي، نسيت أقولك إن شاهي اتصلت بمراتك وحكت لها كل ما بينكم وحلفانك لشاهي إنك بتكره مراتك ومش بتطيقها، وعامش معاها عشان الأولاد وأمك هي اللي أقنعت مراتك بالبقاء بعشان الأولاد. وطبعاً مراتك بتشتاق لحب حقيقي يعوضها عن شعورها بالخيبة والوجع من خيانتك، وزى ما قلت يا بروفيسير: «محدد بيوقف قدام الحب، فهو زي تسونامي، بيحتاح ويغرق اللي يقف قدامه»

- أحمد وقد أخذه الدهول: احرسى مراتي مش ممكن تخونني.

- تضحك مرام: ليه؟ ما هي بتلبس قصير وشعرها مش متغطي، وبتحط مكياج، وكمان اتعلمت الكذب منك، فكلنا ذنوب؟ أنت اللي قلت، إيه بقى اللي يمنعها إنما تحب عليك!؟

وتكمل مرام وهي تتقمص دور الناصحة الودودة: اسمعني يا أحمد مهما حصل أنت ابن خالتي كرامتك وشرفك يهموني وكفاية فضيحة شاهي. اسمع كلامي جمع كل الأعيب شوشو، وطبعًا أنت حافظها كلها ونفذها على مراتك وأقنعها بحبك. تكمل مرام بصوت يحمل الأسف: ساحني يا أحمد أنا ..... ربنا يسامحني، رمضان اللي فات صليت كثير لربنا وكنت بيعيط وأنا ساجدة لله؛ طالبة حقي منك يجي في مراتك،، آسفة يا أحمد كنت مجروحة أوي، ومتخدعش ست تانية ، تدعي عليك ودعاها لربها مسموع.

- سكت أحمد لدقيقة وهو يلهث ، تنخيله مرام يتصبب عرقًا: إنني بتتقمي مني؟ بتشككيني في مراتي؟

- مرام : أبداً مراتك ست محترمة، لكن الحذر واجب والست وهي مجروحة بتبقى ضعيفة ..

### أغلق أحمد التلفون قبل أن تكمل مرام.

طارت مرام في الهواء فرحاً مثل لاعبي الكرة مع إحراز الأهداف. العمال ينظرون بدهشة لمرام وهي تلف حول نفسها وكأنها ترقص فالس حتى أنتبهت لهم، ابتسمت ولم تتجمل، وطلبت من أحدهم شراء جاتوه للعاملين وقالب شيكولاته كبير لها.

انتهى العمال من غلق أبواب الجاليري، وأدارت مرام سيارتها في طريق الكورنيش فقد قررت الاستمتاع بالهواء البارد والمشي. فهي لا تريد العودة للبيت الآن. تنزل من السيارة وتمشي بجوار السور مستمتعة بصوت الأمواج، متمنية أن تغطي على صوت عقلها، فصوته عاليًا جدًا، تارة يذكرها بأحمد وهو يسير معها وتارة أخرى وهي تمشي بحرقة قلبها باكية وحيدة. مشاعرها متداخلة متباينة، لا تستطيع تحديد إن كانت فرحة أم حزينة. الأمر الوحيد المتأكد منه أن داخلها طاقة نجاح قوية. ولم تكن تلك الطاقة ناتجة عن ثأرها من أحمد، إنما ناتجة عن زوال إحساس الحزن عقب كل مكالمة مع أحمد كما كان يحدث.

فقط اليوم تأكدت أنها تستطيع الحياة بدونه وبلا حزن عليه. حقيقي أن بداخلها حزنًا كبيراً على حبها ومشاعرها... لكنها ستتخطاها كما تخطته هو نفسه بوهم حبه. ارتطمت الأمواج بالسور فأغرقت مرام بالرذاذ البارد، تلتفت مرام خلفها لتجد أنها سارت كثيراً، تقف قليلاً على أمل موجة كبيرة أخرى تأتي لتغرقها.

تبتسم مرام ابتسامة كبيرة فهامى تستمتع بالرذاذ وحدها بدون أحمد. اكتشاف جميل جعلها تعد إنجازاتها، فقبل الرذاذ كان الاستمتاع بالشيكولاتة فقد كانت ممتعة عن أكلها لأنها تذكرها به...و...و... وطبعاً الثأر الكبير لقلبها. سمعت مرام لسانها يقول سنحيا بدونه، تبتسم ثانية وتعود لسيارتها.

ويجرد غلق الباب يرن الموبايل ، تتوقع أن تكون أمها قد قلقته عليها، لكنها تجده من موسى المهندس الذي يحبها كثيراً ويصبر عليها منتظراً موافقتها على الزواج به.

- مساء الجنان.

- ليه جنان؟

- هتاخدي برد ، حد عاقل يعمل كذا؟

- مين قالك إني عاقلة ، كنت تعالي اتجنن معايا.

- والله كان نفسي بس قلت يا واد سيبها مع نفسها ، محبيتش اتطفل على أفكارك، كنت شاردة تماماً ،وقفت استمتع بشروذك من الجهة الثانية ،جميلة حتى في شروذك .

- تفرح مرام بإطرائه لها: لو كنت مكانك كنت شاهدت شرودي من قريب.... أفضل.

- يفرح موسى بكلامها ويظهر الابتهاج في صوته : إحنا فيها اشردى بكرة واستمتع عن قرب، إيه رأيك؟

- موافقة بعد ميعاد الجاليري، بشرط تقف تغرق من الموج معايا.

- وأنزل البحر كمان، ويضحكان معاً.

ترجع مرام للبيت لتجد أمها وخالتها، مرتديتان ملابسهما وتتملان حقيقية سفره

- تسأل مرام: على فين؟

- تخبرها أمها بالسفر للقاهرة لتهدئة الأمور بين أحمد وزوجته وولديه.

- الأم: يظهر أحمد اتجنن ومراته زهقت منه ، تعالي بسرعة وصلينا المحطة.

obeikandi.com

## جبل الجليل

جلست لمياء تنتظر دورها للدخول للطبيب، تتجول بنظرها في العيادة متعجبة، فالأثاث قديم جداً وكأنه أتى به من بيت جدته. صالون قديم وأنترية أكل عليه الدهر وشرب، محدثة نفسها أهو بخيل أم غير مهم بالأناقة؟ مشكلة لو كان بتضارة كعب كوابية وشعرة منكوش، الله تبقى حكاية.

يطول الانتظار فعدد المرضى كبير، ولمياء تفكر كيف ستشرح له مشكلتها؟! تمنى من الله أن يفهمها ويكون عنده إحساس فأخر طبيب عاملها ككافرة، ونصحها بالصلاة والقرب من الله بقراءة القرآن، ولم يصدق أنها كذلك إلا بعدما أكدت له شيماء صديقتها، فقط لأن شيماء

ترتدي خماراً وهي ترتدي ملابس عادية. وثار الطيب عندما سألته: مال المرض والقرآن إن كان مريض السرطان والكبد أو حتى الزكام لا يقرؤون القرآن هي مريضة كأني مريض تحتاج العلاج بجانب القرآن. وخرجت من عنده شبه مطرودة.

تحدث لمياء نفسها: يارب ما يقول جلسات تكلمت كثيراً، ولن يفيدني حواراه في شيء، كل الأطباء قالوا نفس ما قالته شيئا ولا جديد، أو من بالله وأحمده على ما قدر لي أريد ما يساعدي على احتمال أحزاني حتى يأذن الله بزوالها.

تتلفت لمياء حولها لتجد أن المرضى كما هم لم يتقصوا، وتعود لحديث نفسها فرغم ثقها أن غداً أفضل لا تستطيع الهرب من حزنها على كرامتها التي أهدرت من زوج مريض تحملته بلا شكوى لمخلوق.

لم تشك من اتهامها بالبرود بعد فشله لإثبات رجولته وعلو صوته بالشم والسب، ورغم أن الأمر متوقع وعادي منذ سنوات، إلا إنه يتعامل مع كل مرة وكأنها أول مرة يعاني الفشل!

اشفقت لمياء على زوجها لسنوات عندما كان يحزن أو يبكي حاله، لكن بعدما اعتاد شتمها بعد كل مرة اكتفت بأن ترفض بحجج مختلفة أو تمثيل أنها نائمة، لتكون النتيجة اتهامها لها بالخيانة وإلا لم تهربت منه؟

أصرت لمياء على الطلاق، ولم ترضَ باعتذاره بعدما شكها لكل من يعرفه أنها خاتمه، وتعاطف المحيطين وتصديقهم له لعلمهم بحالته الصحية ، تسأل نفسها لم طعنها وهي لم تسيء له ولم صدقوه بلا بينة.

والمرار الحقيقي طلب إخوانها الذكور أن تعود له حتى يعرف الجميع أنه كاذب ، فلا رجل يرضى أن يعود لزوجة خائنة ، يطلبون عودتها بعد علمهم بمرضه ويرضون لها الاستمرار في الألم والحرمات بالإضافة لإهدار الكرامة، وكأنها ليست إنسانة تشعر مثلهم، بحجة أنها قد اعتادت عجزه، واثارت ثأرتهم لمطالبة لمياء لهم باعتزال زوجاتهم وتحمل تبعات الأمر، علا صوتهم عليها لمساواتهم بها.

أقاموا حظراً على كل تصرفاتها وبناتها ، طالبوها بلبس نحار! وكأنه ثوب إثبات العفة ، ومنعها من وضع المكياج والإكسسوار عقاباً لها على جرأتها بالمساواة بينهم كرجال ونفسها في موضوع حساس ، فهم رجال لا يجب عليهم تحمل عجز أو برود زوجاتهم ، إنما الزوجة لا تتحدث عن ألم أو تعب من عجز زوجها، وأصبحت لمياء في نظرهم قليلة حياء ، ونسوا أنه فضح نفسه وأن لمياء لم تشكُ أبداً.

رفضت لمياء كل قيودهم ورفضت العودة لزوجها بعدما سترته وفضحها ، قد تحملت لمياء قلة ذكورته لكنها لا تستطيع تحمل قلة رجولته، فالرجل الحق لا يسيء لزوجته أم بناته بهذا الشكل.

سمعت لمياء الممرضة تنادي الرقم السابق لها قام المريض يتحرك بصعوبة ليدخل حجرة الكشف ، انتبهت لمياء لحال باقي المرضى كلهم يتألمون

ويتحدثون في نفس الوقت فلم تسمع كلمة واضحة.

جلست أخيراً أمام الطبيب وغير ما توقعت وجدته جذاباً وملايسه متسقة. يجلس بهدوء خلف مكتبه، يرحب بها وهو ينظر لها بإعجاب فتضايقت لمياء لئسيائه أنه لا يصح ذلك من طبيب. ولم تشعر بارتياح لعينيه فهما كعيني ثعلب شكلاً ولوناً، لا تفهم منهما شيئاً.

سألها الطبيب عما بها وهو يصطنع الابتسامة.

- لم نتفائل لمياء محدثة نفسها: بخيئته يبيتسم بالعافية هيعالجي؟ ولا تكون المدام ضربته علقه قبل ما ينزل ويجرد التفكير في العلقه

ل م تستطع لمياء إمساك نفسها عن الضحك.... ليبيتسم الطبيب ابتسامة حقيقية، تحولت إلى ضحك باستمرار لمياء بالضحك.

تعذر لمياء للطبيب مبررة ضحكها، بأنه كلما ضاقت أمورها أكثر تتحول من البكاء إلى (التهيس) والضحك لأتفه الأمور وهي الآن في هذه المرحلة.

- يهز الطبيب رأسه قائلاً: ولا يهملك.

بسرعة وإيجاز من اعتادت شرح مشكلتها للأطباء حكّت للطبيب عما يؤلمها وأنها بتأكيدها أنها قوية وثق في نفسها وتفهم مشكلتها وأنها فقط تريد عقاراً يمنع الاكتئاب عنها.

- وأخيراً تحدّث الطبيب: مين قاللك إنك مريضة اكتئاب؟

- لمياء: الأطباء.

- الطيب: عشان أشخص الاكتئاب لازم سبع شروط:

أولاً: النظرة السوداء لماضيه.

ثانياً: النظرة السوداء لحاضره.

ثالثاً: النظرة السوداء لمستقبله.

رابعاً: احتقار المجتمع.

خامساً: احتقار الذات.

سادساً: كره الذات.

- قاطعته لمياء: لا لا هو الماضي والحاضر والمجتمع فقط، إنما أنا محبني ومحترمني

قوي كمان (وتضحك) وعندني أمل في المستقبل إيه السواد دا ؟

تستمر في الضحك، اللي بتقوله دا حد انتحر خلاص من غير سابقاً، بيتسم

وهو ينظر لها. وتعتذر لمياء ثانية عن ضحكها.

- الطيب: بتعتذري كثير ليه؟ ممكن تضحكي أو تعطي براحتك، وتقولي

براحتك السبع شروط إذا توافروا يكون المريض مكتئباً ما إنتي عندك عرض اكتئاب

بس مش مريضة اكتئاب. ويتابع: لكن السؤال ليه؟

- لمياء وقد بدت الدموع في عينيها: أظن الصدمة عمري ما اتخيلت إن حياتي

تبقى حدوتة ناس مش يحترمهم أساساً، وأتفصح بالطريقة دي ، وأتحملت كثير

عشان ميقالش كلمة وأكون مطالبة بإثبات عفني لمجرد كلمة من راجل مش

طبيعي.

- كلامك صح ماعدا إنك اتفضحت والحقيقة إن الفضيحة ليه هو.

- الناس مش شايفين دا.

- أغبياء وعائشين سعداء ونعيمش إحنا في شقاء بسببهم؟ (ويشير بالرفض)

لا.. واحدة زيك لا تستجيب للأغبياء.

- عارفة لكن الخذلان قاتلني.
- قلنا أغبياء.
- من فضلك اكتب لي علاج لقللة النوم، هتجنن.
- هو علاج واحد فقط ولفترة حتى ننتهي من الجلسات.
- مش عاوزه جلسات ولا كلام ، اتكلمت كثير.
- أنا اللي أحدد العلاج نوع وكمية.
- آسفة، مش تدخل في عملك أنا زهقت من الكلام، ولولا الدكتور محمود جمال زهق شكوتي من آلام معدتي اضطريت أسمع كلامه وأجي.
- إنتي قريته؟
- لا هو صديق للعائلة.
- دكتور محمود صديق عزيز.
- الحقيقة هو شكر لي في حضرتك لكنه مقالش إنكم أصدقاء.
- ياه نسي؟ عمومًا أنا تحت أمرك، وأمر دكتور محمود.
- شكرته لمياء وتجلس صامته وهو يسجل في أجدته حتى سأها:
- آسف لو سألتك عن سنك ، أعرف إن الستات.....
- لا عادي وهى تضحك\_ثمانية وتلاتين.
- نظر لها الطبيب بإعجاب شديد لكن هذه المرة لم تسكت وسألته:
- فيه حاجة؟
- أبدًا لكن شكلك تلاتين مش أكثر، تعري إذا اتخلصتي من العرض الاكتيابي هيبقى شكلك خمسة وعشرين (ويضحك).
- ياه أخلص من التعب ياريت ، السن مش مشكلة.

- عايشة مع العيلة؟  
- لا مع بناتي والشغالة بس.  
- ماشي ست لمياء أنت من طرف أعز الاصدقاء وله عندي منزلة كبيرة،  
المشكلة إني مسافر بعد أربع أسابيع وعاوز أكمل علاجك قبل السفر، أخاف  
دكتور محمد يزعل وأنا مقدرش على زعله.  
- أربع أسابيع مش كفاية؟  
- أيوه، مش علشان مرضك صعب لكن أصعب مريض هو المريض الذكي  
المثقف وانتي ما شاء الله عليك، عاوزك تتعاوني معايا وهرجعي لمياء الضحوة  
الجميلة زي ما كنتي.  
- وعرفت منين إني كنت ضحوة؟  
- شغلتننا بقى، ولا أحنا بنبيع خضار.  
- تضحك لمياء ويتابع : هتتبعك يا ست الكل وتيجي العيادة مرتين في  
الأسبوع وتتكلم تليفونيا مرتين في الأسبوع علشان تنتهي من العلاج تماماً  
قبل السفر، وطبعاً دا مش يحصل أبداً مع مريض إنما خاطر دكتور محمود.  
شكرته لمياء ، وتعجبت لكرمه فلا يبدو عليه سمات الكرم، مصدقة أن  
كرمه لأجل صديقه د.محمد.  
أعطاها الطيب الكارت الخاص به وسجل رقم تليفونها، وقام يسلم عليها  
وتسأله لمياء إن كانت الاتصالات ستسبب مشاكل مع زوجته فقد أعادت  
ذلك، ليجيبها الطيب أنه خاطب فقط وخطيبته متفتحة العقل، متحررة  
الروح، وثق به، ويمشي بجانبها ويفتح لها باب الغرفة.

خرجت لمياء لترى نظرة تعجب من السكرتيرة.

عادت لمياء لبيتها وبها كم كاف من الأمل في العلاج؛ مستبشرة بالطبيب الفاهم لحالتها، فاستطاعت تناول العشاء مع بناتها وتبعته بالأقراص التي كتبها الطبيب، ثم نامت.

تستيقظ لمياء في اليوم التالي بصعوبة تشعر بدوار شديد وعدم قدرة على القيام من السرير، جهزت إفطار البنات بصعوبة، ثم اعتذرت عن الذهاب للعمل وعادت للسرير لتنام.

استيقظت لمياء على صوت البنات لدى عودتهم من المدرسة، غير مصدقة لما مر من الساعات التي نامتها دون أن تشعر، تحاول القيام فلا تستطيع وتضطر لطلب طعام جاهز للبنات وتكمل نوم.

تستيقظ في المساء على هزة من ابنتها تناديها قلقاً عليها وبجوارها شيماء صديقتها التي حضرت بعد اتصال البنت الكبرى بها للاطمئنان عليها، وللمرة الثالثة لا تستطيع النهوض، فتعتني شيماء بالبنات وتجهزهن طعام العشاء وتطمئن عليهن حتى يخبث وتعود لبيتها دون إيقاظ شيماء.

تستيقظ شيماء في اليوم التالي لكنها أنشط، فهي لم تتناول القرص في المساء وتقوم بأعمالها اليومية دون تعب.

تتصل لمياء بالطبيب والذي يرد عليها فوراً لتشرح له ما حدث في اليوم السابق من نوم ودوار، راجية أن يغير نوع الأقراص حتى تستطيع القيام بواجباتها.

- يضحك الطبيب: العيب فيك يا ستو واضح إنك حساسة بزيادة، وعموماً نكتب علاج غيره ، لكن المهم أخبارنا إيه؟
- لمياء: مفيش أخبار أنا نائمة من وقت ما كنت في العيادة عندك.
- الطبيب: هتكوي أفضل صدقيني وباختلاف رؤيتك للأمور وطريقة تفكيرك، هنكون أفضل، أنا قلت لك بس ما استوعبتيش.
- لمياء: مش فاهمة!
- الطبيب: ننظر لجوزك على إنه مريض غي، وإن الفضيحة اللي فجرها كانت لنفسه ومش ليكي حتى وإن كان طلاقك بسبب عجزه...حقك.
- أيوه حقي لكن الناس وإخواتي..
- هم اللي سابونا وهم هيرجعوا لينا.
- مش عاوزه رجوعهم، هم اللي كسروني، طليقي معرفش يكسرنني رغم اللي عمله، لكن هم...
- تدمع عينا لمياء فتسكت، ويفهم الطبيب أنها تبكي فيسكت قليلاً ثم :
- إنتي غلطانة، سمحتيلهم بكسرك.
- أنا؟
- أيوه متسمحيش لأفعال البشر أو كلامهم بكسرك، إحنا اللي نسمح أو منسمحش.
- لكن يا دكتور...
- كفاية دكتور دى من فضلك، المصريين متأخرين بسبب حضرتك وعظمتك في أمريكا مفيش ألقاب ، تعرفني اسمي ولا أحفظهولك؟
- طبعاً دكتور أكمل.
- برافو أكمل بس ، وإنتي لولي لايق عليكى، إنتي لولي فعلاً.

- تدهش لمياء لكنها تقدر أنه قد تعود وأحبّ الأسلوب الأمريكي في التعامل. يتابع أكمل بلا انتظار رد منها: عودى نفسك يا لولى عملي وتقولي اللي مقتنعة بيه وبجراًة من غير حساب لحد المهم تكوني سعيدة إنتي الأهم دلوقتي، حرري عقلك وروحك إنتي شخصية رائعة، قوية، وجريئة، لكن ناقصك زيادة من التحرر لعقلك، لازم تعلّي تحرر عقلك لمستوى تحرك الروحي ، صدقيتي لو اتساووا هتكوني أفضل، بمعنى إنه لو مكانتش روحك متحررة مكويتيش طلبت الطلاق لكن عقلك لأنه أقل تحرراً تأخرت في طلب الطلاق وبعد الطلاق تحتمي بكلام ناس إنتي مش مقتنعة بيهم ولا بفكرهم ..... يبقى التقصير من عندك. لمياء صامته تستوعب كلامه كتلميذ نجيب ينوي التفوق، ويتابع أكمل دون انتظار:

- خدى نفس عميق وارفعي درعاتك لفوق، غمضي عينيك وطيري في الهواء.

### تضحك لمياء..... ويغضب أكل:

- أنا مش بقول نكت ولا بجزر، إنتي فين وتعلمي إيه؟  
- قاعدة.  
- لا ادخلي السرير وأظفي النور، افتحي الشباك، غمضي عينيكى بهدوء، افردي درعاتك وتحليي إنك بتطيري في السما، بيشيلك هوا لأطول فترة ممكنة هسيك وأبقي احكي لي.  
- أنا آسفة...  
- ركزي في اللي قلته.  
- ميرسي  
- ميرسي يا إيه؟

- أكمل.

- أجمل أكمل سمعتها في حياتي، أبوه كذا. المهم مننشاش عقل متحرر، إحنا صح، هم أغبياء، هم توابيت. اتفقنا. اتفقنا.

- هعيد التمرين تاني ومتريش. هقفل التلفون بدون سلام.

« جسمك مفروود مرتاح، الهوا جميل، الدنيا ليل، الهواء بيرفع جسمك لفوق، درعاتك مفروودة، إنتي خفيفة زي ورقة الهوا بيثيلك برقة، هنسترخي تمامًا علشان يشيلنا الهوا أطول فترة ممكنة، إحنا فوووق حوليكي نجوم كثير بتلمع، الهوا ريحته جميلة ونفسك هادي ....

ويغلق أكل التلفون.

تتهي لمياء عملها في اليوم التالي شاعرة بالهدوء والسكينة، تستطيع التعامل مع من حولها والمذاكرة لبناتها، حتى جاء ميعاد الاتصال بأكل شاعرة بالسعادة للحديث معه، يرد أكل عليها فوراً يستأذنها للاتصال بها بعد قليل.

يتصل أكل بعد ساعة لترد عليه: أكل فوراً ملاحظاً تغير جميل يظهر في صوتها: أخبارنا حلوة؟

- لمياء: جدًا، تمرين رائع، نمت بعمق وراحة كبيرة.

- أكمل: جميل، قلت لك معايا هترتاحي، هه بتفكري في إيه .. نفسك في

إيه؟

- لمياء: نفسي أنسى كل الأحزان، وأرجع تاني زي زمان.

- أكمل: لولي الجميلة كلها نشاط وحيوية ومرح... كلامي مضبوط.

- لمياء: بالظبط.

- أكمل: هترجع ، أنا معاكى لغاية ما ترجعى لولي بتاعت زمان وننسى لولي الثانية الخزينة ، نفذي كلامي. سعادتك عندي. أنا أكثر إنسان فاهمك

- لمياء: حقيقي يا أكمل

- أكمل: طبعا ، لاحظي لولي اتمارده، غير لولي من أسبوع بعد مكاملة واحدة ، ولسه لما نكمل، أنا معاكى.

تشكرة لمياء وتسألها كيف ستدفع له ، ليخبرها أن الحساب في نهاية العلاج، وتحادثا عن الأشخاص المحيطين بها ، تلاحظ لمياء سؤاله بدقة زائدة عنهم ومستواهم الاجتماعي والمالي وأمور كثيرة لم يسألها عنها أى طبيب من قبل.

تطول مده الاتصال إلى أكثر من ساعتين بدون أن تشعر، إنما أكل يشعر بكل كلمة أو حتى همسة منها ولم تنتهي المكالمة إلا وقد عرف أكل كل شيء عنها وجميع المحيطين بها.

- أكمل: يعني شيماء صديقتك الأنتيم المساندة ليكي ، وعارفة عنك كل شيء.

- لمياء: مقدرش أعيش من غيرها .

- أكمل: لكن من فضلك متحكيش لشيماء عن مكالماتنا في التليفون أو طريقة علاجي، أنت حالة خاصة ، ومحيش إن حد يعرف طرق علاجي «ويضحك» إنتي عارفة عدوك ابن كارك ، غير إن الجميع هيطالبني بالعلاج بالتليفون والكل عشانم فيا والنتيجة إن مش هنام.

- لمياء: أوكى ، باي باي أكمل.

تغلق لمياء التليفون وهي لا تنوي تنفيذ كلامه فشيماء لن تخبر أحداً.  
تنزع شيماء لطلب أكل بعدم إخبارها بمكالمتهما

- هو خايف مني ليه؟

- لمياء: يخاف لانا هو راجل مختلف غير الرجاله اللي بتخاف.

- شيماء: هنشوف إن كان مختلف ولا إيه حكايته.

مريومان ولمياء تريد الاتصال به فهي تشتاق للحوار معه ما يمنعها إلا  
نجلها من فرض نفسها عليه وهو مشغول وتخشى فهمه انخطأ لاتصالها  
كالفلام العربية، المريضة التي تحب الطبيب وهي سعيدة به لأنه صديق  
وطبيب رائع.

تمر الأيام بطيئة حتى اليوم المحدد لزيارة العيادة ، تذهب لمياء سعيدة  
متأنقة وقد عاد لها رونقها القديم. تجده قد ترك لها خبر مع السكرتيرة لتدخل  
فور حضورها ولا تدفع الكشف، تفرح لمياء باهتمامه، وتدخل بعد  
المريض الموجود وقت حضورها .

يرحب بها أكل باهتمام زائد وابتسامة كبيرة ونظرة غريبة لكونه طبيبها  
وليس شيئاً آخر.

- أكمل: وحشتيني.

يحمر وجه لمياء نجلا من الكلمة والمفاجأة، لكنها تعطي العذر، فهو يعاملها  
معاملة خاصة وبدون حواجز بالإضافة لكرهه لقيود الشرقيين.

- لمياء: الحمد لله أحسن كثير.

- أكمل: عاملة إيه مع الناس؟

- لمياء: الناس غريبة لكن بمحاول أطنش لكن دائماً بينتقدوا طريقة كلامي وتصرفاتي ولبسي، مع إني مش بعلق على طريقتهم ولا لبسهم الغريب. دا عن الستات أما الرجالة فحدت ولا حرج، كل واحد منهم بي فكر إنه بكلمة ونظرة هقع في غرامه وإلا يسخف ويتهمني بأني بحب راجل تاني وكأنه زوج ومراته بتخونه، مع إنه مش بي فكر في حب وجواز إنما غرام وقلة أدب.

- أكمل يسأل بجدية: يعني لو واحد منهم اتقدم للجواز منك توافقي؟

- لمياء: لأ طبعا مستواهم الاجتماعي والفكري مش مناسب ل...

- يشير أكمل بضيق مفاجئ وعصبية زائدة: هو دا، هو دا هم عارفين إنهم مش قد المقام العالي.

- لمياء بتعال غير مقصود إنما موجود في طريقة كلامها: يبقى يبعدوا عني.

**تلحظ لمياء ضيق خلق أكمل الزائد ولا تفهم السبب.**

- لم يستطع أكمل إخفاء ضيقه ويتحدث بعصبية: طبعا لازم يعرفوا مقامهم ويبعدوا، غلطانين، اتجراؤا وحبوا البرنسية .... حتى الحلم؟ مستكتره عليهم مش عاوزاهم يحلموا.

- لمياء: مش فاهمة سبب نرفزتلك؟! هم مش بيحبوني فمن حقهم يحلموا

بيا، هم بيحلموا بعلاقة مش أكثرهم بيحبوا أنفسهم.

- أكمل مستمر في ضيقه وعصبيته: محستيش ولا هتحتسي بيهم، ميحسش بيهم غير اللي عاش وداق الفقر ومرارته.

- لمياء: لا المشكلة مش في الفقر، نو واحد وحبني بجد .....

- يقاطعها أكمل: لو فقير مش هتحتوزية، متكديش على نفسك.

- لمياء: لكن هحترمه وأرفض بشياكة.
- أكمل: فهمتي، المشكلة في فقره لأنه لو يبحبك وقد المقام العالي هتوافقي «ويرتفع صوته» صح؟
- لمياء: الكل طمعان فيا، غني وفقير.
- أكمل: لا! لا الغني هترفضي العلاقة، لكن من حقه يحلم بيكي لأنه لو عاوز يتحوزك هتوافقي طبعًا لأنه هيعيشك في نفس المستوى اللي إنتي متعودة عليه، مصاريف وعربية .. صح؟
- لمياء: أبوه متعودة.... بس مش قادرة أفهم سبب عصبيتك ولا.....

- يقاطعها أكمل: لو دوقتي الفقر كنتي فهمتي \_ ويجلس على الكرسي المقابل لها وكأنهم أصدقاء\_ إنتي بالنسبة ليهم نجمة عالية في السماء. (ويتابع) أتصور إنك مريتني جنني بالعربية \_ ثم مقلدًا صوتها \_ مع بابي.
- تسأله لمياء باندهاش : أنت ساكن جنبنا؟
- أكمل مبتسمًا بجانب فمه ابتسامة ساخرة: لأ طبعًا كنت ساكن في حارة في كفر ورا منطقتك الراقية أكيد عديتي جنب واحد مننا بعريتك والسواق سايق للطفلة الغنية وأنا أوهو ماشي حافي لأن الجزم للمدرسة بس وياريتها جزم بجد لأ جزمة قماش كنا نسميها كاوتش من باتا \_ ناظرًا لها بتحدٍ أدهشها \_ تعرفي باتا. تفتح لمياء فمها لترد فيسبقها : كاوتش قماش من باتا يتقطع من تاني شهر في الدراسة ونكتمل السنة وهو مقطوع لا ييمنع برد ولا بلبل منالمطر ونخيظه ونرقعه مع البنطلون والشنطة القماش. ويتابع كلامه بعصبية أشد ولمياء صامته من شدة دهشتها لحالته. طبعًا لولي هامم مسمعتش قبل كذا عن المآسي دي.
- لمياء: لا أنا ....أول مرة....لكن إيه العلاقة ....

- يقاطعها أكمل للمرة العاشرة غير عابئ بكونه طبيبًا وهي المريضة: علاقته إنك مش مقدرة ولا حاسة ألم الناس حواليك، الناس دي مبتروحتش للدكتور نفسي تشكو حزن زى حزنك ، لكن بيشكو لبعضهم حزن ومشاكل تنتهي بمبلغ بسيط يأكلوا بيه ولادهم.

### ويتابع:

الحلم كان ممنوع علينا ، حتى التعليم دبلوم تجارة ولا صنایع دا أصلًا لو قادر الوصول للدبلوم لكن أنا وأخواتي وصلنا لأكثر من اللي وصل ليه ناس كثير حتى أنتي.

تفجع لمياء من كلامه وكأنه يشمت بها لأنها أقل تعليمًا منه كأني إنسان معقد غير واثق بنفسه ، وكأن حديثها مع شخص غير متعلم أساسًا وبلا أي شهادات وشهادة الدكتوراة هواء أو دخان.

- أبويا كان كمسري وبسخرية شديدة\_ تعرفي الكمسري.

- لمياء وقد ظهر الغضب عليها : حضرتك فاكرني إيه؟ ولية بتتكلم بالشكل الغريب دا وكأنك غضبان من مستوى عيلتي وكأنه ذنب ، تسكت لمياء للحظات ، وهو أيضا يجلس على طرف الكرسي ولا ينظر لها.

- ثم تابع لمياء: عمومًا أنا عارفة الكمسري هو اللي يقطع التذاكر في الأتوبيس.

- أكمل وكأنه لم يسمع من كلامها سوى الجملة الأخيرة: أيوه هو دا أبويا اللي يقطع التذاكر.

- ويهز رسه والابتسامة الساخرة لا تفارقه: عارفة كنت بشتغل من ابتدائي وحتى الجامعة، وطبعًا منحلمش بدروس خصوصية لغاية ما تخرجنا. ويتابع كلامه

وكانه مريض في جلسه مع طبيبته النفسية: عارفة أول حاجة أشتريتها من أول مرتب بعد تخرجي.....

تهز لمياء رأسها بالنفي بدون أن تنطق تشعر بالخوف، وكأنها أمام فيلم من الأفلام التي تعرض حالة البطل المريض نفسياً ولا تتخيلها على أرض الواقع منبهة من إجاده التمثيل والإخراج.

- أكمل: أشتريت بنطلون لأبويا ، كان لا يملك إلا بدله الشغل البيج.

( ثم بسخرية هادئة): عرفاها؟

تهز لمياء رأسها بالموافقة مأخوذة بحالته وما يقول.

- ويتابع أكمل جلسة اعترافاته: اللحمة كانت مرة في الشهر، ويا سلام لما

حد من الأغنيا يدبح ويعطينا كيس لحمة .. نبقى طابرين من الفرحة.عارفة....

لما قبضت وعطيت أمني مبلغ صغير في إيدها عيطت من الفرحة.... إيه رأيك؟

- صوت لمياء منخفض جداً: رأيي في إيه؟ وأنت ليه كدا بتتكلم كأني

متهمة بالغنى؟!

- لم يرد أكمل وسألها: عرفتي مشاعرهم تجاهك؟

- لمياء: مش فاهمة سبب عصبيتك جاوبني!

- أكمل: لإنك لازم تحطي نفسك مكان البني آدم اللي مضايقتك وتحسي

بيه، الستات لازم يتريقوا وإلا هيطلقوا من الفروق اللي بينكم.

- لمياء: ويطقوا ليه؟! ليا أصدقاء مستواهم أعلى مني بكثير ومش بحقد

عليهم ولا بكرههم ولا بغير منهم ، كل إنسان ليه نصيب ورزق. وتتابع: بكدا

يقي أنا أحقد عليهم؛ لإنهم مبسوطين مع أجوازهم.

- ابتسم أكمل وقد عاد إليه هدوؤه وينظر للمياء بحنان بالغ: إنتي زي المية

النقية الصافية مهما ارتفع منسوبها ممكن رؤية القاع.

يتنفس أكمل بهدوء وكأنه قام لتوه من النوم ويعتذر عن عصبته محاولاً الضحك :

- جلسة انفرادا كانت ليا ولكن حظي أحسن منك: جلستي كانت مع أحلى وأرق دكتورة.

تبسم لمياء خافضة رأسها ومشت بعدما أتفقا على الاتصال لمتابعة العلاج. تعود لمياء لبيتها وبناتها ينتظرنها ، تجهز لمن العشاء وتحدث معهن حتى ميعاد نومهن ، وتبدأ في تجهيز طعام الغد منشغلة بالتفكير في اكتشافها لمرض أكل والذي لا تعرف اسمه أو باقي أعراضه لكنها متأكدة إنه مريض نفسي، وإن مرضه أشد من مرضها، تتداخل الأفكار برأسها كيف سيعالجها وهو مريض، لكنه ماهر في عمله بدليل أنها أفضل.....

نتصل لمياء بصديقتها شيماء

- هاي يا لولو ولا أقول لولي زي واحد صاحبنا.

- هاي يا شيمو، اسمعيني أولاً بلاش تريقة، ثانيًا.....

وتحكي لمياء ما حدث من حوار أكل الغريب. وتفجّر شيماء مفاجأة أكثر من سيئة بأن أكل كان متزوجاً وطلق من أسابيع قليلة.

- ليه قال إنه خاطب؟ معقول دكتوراة طب نفسي ويتكسف إنه مطلق،

مريض بالفعل، لا ومتخلف كمان.

- مكسوف آه طبعاً وكذاب وبishtغللك لأنه مطلق بفضيحة.

- بفضيحة؟

- بعد أربع أيام من جوازه هو قال إنها (.....) وهى قالت إنه (.....)

،وتضحك شيماء ضحكة عالية ذات معنى.

لمياء صامته تماماً وقد غطت وجهها بيديها .

- ألو. ألو لولو إنتي أغمى عليكى ولا إيه!؟

- أنا في مصيبة إيه الإنسان دا ، غريب جدًا ، طبيب نفسي يتكلم ساعة عن ماضية بمستريا ، حاقد ، كذاب ، ويتهم زوجته بأتهام هو نفسه يعيبه على جوزي ويوصفه بالغباء ، ميعرفش إنه برضو غبي.

- وأنا أنا هعمل إيه وعلاجي هكمله مع دكتور محتاج دكتور نفسي، دا الوحيد اللي فهمني وبدأت أتخسن ولما بتكلم معاه بحس إني في دنيا تانية ، هو... هو إيه لازم تبعدي عنه.

- لا، لا حقيقي مقدرش، هو الوحيد اللي يقدر يعالجني ..أيوه هو فاهم الناس وفاهمني لا ماقدرش، أنا قرئت قصة عن دكتور مريض لكنه شاطر ويقدر يعالج غيره، ويمكن مرضه نتيجة طلاقه أو.....) وتجز راسها بضيق (ولا فاهمة حاجة.

- عمومًا خليكى حريصة واضح إنك معجبة بيه، عمومًا المعلومات دي أكيدة، صاحبتى قريبة طليقتة، بتقولي كانت بلدي شوية لكنها جميلة... صاروخ. مش مهم ، المهم إني أتعالج.. وكلامه مطبوظ..... علاجي عنده.

وتغلق لمياء التليفون مع شيماء لعدم استطاعتها الكلام فقد توقف عقلها عن التفكير، وتقضي ليلة من أسوأ لياليها . يمر يومان والصداع لا يترك لمياء من التفكير، متذكرة كل كلمة قالها مقتنعة أنه من سيعالجها لا أحد غيره وعلى الناحية الأخرى أنتظر أكل يومين على أمل أن تتصل لمياء متمنياً ألا تكون أنتبهت لحالته أو تأثرت بكلامه.

## وفي النهاية اضطر للاتصال:

- هاي لولي، فينك؟ وحشتيني.
- الحمد لله، أخبارك إيه؟
- ممتاز بس لإني سمعت صوتك، أتأخري في الاتصال ليه؟
- خفت خطيبتك تتضايق.
- يتردد أكمل ثم: بصراحة يا لولي أنا كذبت عليكى أنا فسخت الخطوبة من فترة، خفت تشكي فيا وكنت حاسس إني معجب بيكى... آسف كدبة بيضا سامحيني.

تركته لمياء يكمل كلامه وهي صامته حتى ناداها: لولي.

- لمياء: نعم معاك... وكذبت في إيه كمان؟
- بتلغثم أكمل: هكذب في إيه؟ لأ..... مش فاهم؟
- لمياء: كنت خاطب ولا متحوز؟

يثور أكل كبركان صارخاً بكلمات بعضها غير واضح:

- مين بيتكلم عليا.... إنتي بتكلمي عني مع الناس..... إنتي فاكرة نفسك إيه؟ بتتجسسي عليا ليه؟ قالوا لك إيه عني؟ صدقتي؟ صدقتي إني فشلت والهبل دا، امسحي غرقي مش عاوز اسمع صوتك أو أشوفك.

سمعت لمياء التليفون يغلق، وضعت لمياء السماعة وهي ترتجف من ردة فعله، ودار عقلها في الفراغ أكثر، فراغ هائل بلا جاذبية كرواد الفضاء، لا تستطيع الوقوف ثابتة على الأرض.

مر أسبوع كأنه دهر، ولمياء نتقطع بين حزنها على أكل وأنها السبب في انهياره تلوم نفسها ، واكتشاف أنها تشتاق لرؤيته والكلام معه ، واكتشاف أنها تشتاق لأكل كان مصيبة في حد ذاته ، وكيف ومن سيعالجها إن لم تعد للتحدث معه.

كل فكرة تلعب بها وتقذفها لأختها وعادت لمياء إلى إحساس الفراغ والوحدة، وقد اكتشفت أن سيف من أزاحهم عنها لتكبر مصيبتها بأكتشاف أنها ارتبطت به وربما أحبته.

مر أسبوع آخر ولم يتصل أكل ولا يرد على اتصالاتها.. نفذت قدرتها على المقاومة ، تذهب لمياء إلى العيادة لتجد السكرتيرة جالسة ولا مريض بالعيادة، وتخبرها السكرتيرة أن الدكتور أكل مريض منذ أسبوعين ولا يحضر للعيادة. تعود لمياء للبيت متألمة تلوم نفسها كان لابد من التمهيد له ولا تسأله بهذه الطريقة ، لابد أنه يتألم ، وكأنها وقعت في بئر فلا هي فاهمة لمشاعرها، إن كانت تحبه أم مجرد ارتباط لأنه الوحيد الذي فهمها لكنها متأكدة من أنها لا تستطيع الاستغناء عنه تريد سماع صوته والاطمئنان عليه وهي مشاعر لم تشعر بها تجاه أي طيبب آخر.

مر أسبوع ثالث بلا رد منه على تليفونها ، خائفة أن يكون سافر كما كان ينوي.

تذهب مرة ثانية للعيادة ، تجد المرضى جالسين فتعرف أنه موجود ... تدفع الكشف وتنتظر دورها ، وبمجرد دخولها يثور ويعلو صوته لأنها دفعت كشف:

- إيه اللي عملتية دا بتدفعي كشف ؟ هو أنا منتظر فلوسك .... هجعوع أنا من غير فلوسك؟

لمياء صامطة حتى انتهى من ثورته؛ مشفقة عليه وعلى نفسها، تنظر له بحنان حتى هدأ. يجلس أكل وهو يمسح وجهه بيديه ، لينتبه أخيراً أنها واقفة يدعوها للجوس وهو يعتذر عن كل ما فعله مبرراً ثوراته أنها صدمته بكلامها عن زواجه ولم ترجمه ، وإهانتها له بدفعها الكشف وهو يعتبرها صديقة ولم يتوقع كل ذلك منها و.... و..... بتبريرات تشير كلها أنها المخطئة بحقه.

تصدقه لمياء متعاطفة معه، تشعر بالحنين لقلبة إنسانيتها مع أكل ، بينما يضحى هو بوقته ويعالجها رغم صعوبة حالتها كما قال لها سابقاً.

- أنا آسفة جداً ، ومش لاقية حاجة أقولها ، ومتخيلتش إنك متأثر بالطلاق للدرجة دي.

- أنا بني آدم ، الدكتور النفسي بردو بيتعب لكن الفرق بيني وبينك إني بحس بيكي وبأملك إنما أنا. محدش حاسس بحزني حتى إنني ، كنت هقولك كل حاجة ، بس استنيت أتأكد من ثقتك فيا الأول.

تحاول لمياء تلطيف الجو وقد استطاع أكل بمهارة استمالة مشاعرها

- اعمل لك جلسة، أنت قلت إني أحسن دكتورة

- أنا قلت أحلى دكتورة، لكن دكتورتي طلعت عشموي قتلتني.

- : والله ما قصدت، كفاية تعذيب فيا ... احكي هسمعك إحنا أصدقاء..

- ينظر أكمل لها بحنان بالغ : لا مش أصدقاء ..... أنا بحبك يا لولي.

نزلت كلماته على لمياء كماء مثلج منع أنفاسها، وبعدما استطاعت التنفس رفعت عينيها لعينيته، فلم تر فيهما أي شيء .... كلمة الحب في صوته وارتخاء عينيته قليلا لكن داخل عينيها .... لا شيء كأنهما زجاج.

- أكمل مستغربا سكوت لمياء: إيه يا لولي بحسبك بتحبيني؟

- ارتبكت لمياء: معرفش ... أنا متلخبطة ومش فاهمة.

- مش فاهمة إيه؟

- لا فهماك ولا فهماني

- أنا فهمك كل حاجة حتى نفسك .... إيه رأيك نتكلم بالليل؟

مطرة تحبب رأس لمياء، كلها أعادت كل ما قاله أكل عدة مرات. أيجبها كما قال أم يريد تعويض مشاعره تجاه طليقته؟ أيساب بالوهم وهو طيب نفسي؟ وحتى اتصال أكل بها تعاد كل الأسئلة برأسها بلا توقف ألف مرة. وبلا وصول للحقيقة.

- ألو.

- ألو..... ألو.... أكمل سامعني؟

- أيوه سامعك لكن ناقص ألو كمان ... لازم أسمعها ثلاث مرات.

تضحك لمياء ولكنها ضحكة غير التي اعتاد عليها.

- ضحكك مش صافية ليه؟

- حتى الضحكة بتفهمها.

- إذا كنت بفهم ضحكة الناس كلها، مش هفهم أجمل ضحكة.

- عاوزه أعرف كل حاجة عنك، مشاكلك، جوازك ( وتتابع كلامها وهي تتوقع ثورة أخرى منه ) وعن مرضك ..... أنت مريض يا أكمل.  
- سامحيني أنا فزعتك بثورتى، أنا سامع الخوف في صوتك. لكن أنا بحبك بجد تفاجأ لمياء بإجابته وهدوئه.

حكى أكل قصته مع عروسه وكيف أنهما كانا دائمي الشجار لكنه كان يعشقها واعترف بأنه كان يتهور ويرمي لها الدبلة ثم يعود ويعتذر راجياً الاستمرار في الخطبة، حتى قبل الفرح بأسبوع اشترى الأنترية وحده بدونها، ودعاها لكي ترى مفاجأة ، وتذهب العروس لتجد المفاجأة هو الأنترية فثارت لأنه لا يعجبها وأنهما كانا متفقين أن الاختيار مشترك وأصرت على تغييره ، وكعاداته ثار ثورته غير الطبيعية ويرمي الدبلة في وجهها للمرة العاشرة ، ثم عاد يتوسل إتمام الزواج لتوافق هي بعد ضغط من أمها وتظل مقطبة جبينها صامته حتى يوم الفرح وجدها ترقص في الفرح فتخيل أنها قد سامحته ، لكن وبعد انصراف الأهل رفضت أن يقربها ودفعته بعيداً عنها عندما أصر، وكالعادة ثورة غير عادية بالإضافة لاتهامها أنها ليست عذراء وتخشى افتضاح أمرها، وعاد ليعتذر عما قاله لكنها صممت على الطلاق رغم توسلاته وتم لها ما أرادت بعدما أشاعت عنه أنه عاجز جنسياً فثار وطلقها.

سكت أكل ، وكأنه ينتظر الحكم عليه وأخيراً تكلمت لمياء:

- عندها حق.
- بتدافعى عنها لإنكم ستات زي بعض.
- أبداً ، حقها فعلاً، مين ترضى باتهام شرفها زي ما اتهمتھا!

- أعتذرت.

- لو اعتذرت لآخر حياتك مش كفاية. وتتابع كلامها: تبقى دكتور شاطر

ومش عارف تعالج نفسك من مرضك ولا أنت مش معترف بيه أصلاً؟

- معترف تماماً بيه لكني ما ينفعش أعالج نفسي ولا حد من الزملاء، لأني

أعرف حيل الذكاترة و مش هستجيب للعلاج.

- أكيد تعرف دوا مناسب لحالتك ، ليه تضيع حياتك وأنت تعرف العلاج؟!!

- لا يمكن ، مش متصور أبلع اقراص كأى مريض.

- كلامك في حد ذاته مرض ، التعالي على المرض ورفضه هو مرض.... أنا

مش دكتورة لكن مرضك قاتل.

- محاول أخلص منه وهنجح.

- ياريت لإنك غضبان وأنت الغلطان.

- دي اتحمتي.... هي إنسانة ...

- مش أوحش منك و أنت اللي بدات وهي بتكمل الفضيحة بنفس

طريقتك.

- اللي فات مات ، إحنا الأهم دلوقتي .. إيه رأيك أقبال بابا إمتي؟

- بابا... بابا بتاعي أنا؟ ليه؟

- طبعا بابا بتاعك ، بابا بتاعي مات من زمان ، سؤال عيب ، مش هنتحوز؟

- جواز على طول كدا؟ لأ ، لا أنا ماعرفكش ولا أنت تعرفني ، نستنى علشان

نتأكد حبك ليا و أفهمك كويس، وكمان لسه وقت لعلاجك وعلاجي، لازم

أتعافى من حزبي الأول و تبطل ثوراتك اللي مش معقولة دي ، مقدرش أعيش

خايقة من كلمة مقصدهاش أو موقف بسيط يولد انفجاراتك المرعبة دي.

- يعني تأجيل للموضوع، لكنك موافقة.. صح؟

- منكرش انجذابي ليك.

- علاجي هنجح فيه وعلاجك أنا... أنا علاجك.

تضحك لمياء

- حقيقي.. أنا بس اللي فهمك وأعرف أبعاد شخصيتك.. و اللي يرضيكي..

و يغضبك.. معايا هترجع لولي الجميلة فكري فيا أنا وانتي بس، أي حاجة

خارجنا سببها لي ، أفكر أنا وريحى إنتي عقلك المجهد من عبء المسئولية، أنا

عقلك دلوقتي ، بناتك وإخواتك والناس أنا أحل مشاكلهم ، شيلهمي أنا

بس. كل مشاكلك عندي القدرة على حلها لكن أكمل حله عندك إنتي يا لولو

وتهعالج عشانك ،أعرفيني براحتك...و أنا منتظر الأمر يا برنيسية لأسعدك.

شعور بالنشوة والفرح يحمل لمياء إلى السماء، هذا الكلام لا يقوله إلا

محب... يااه أخيراً حب بجد. لم تشعر لمياء أبدا بهذا الاحتواء ، لا تصدق

أنها وجدت ما تتمنته دائماً... أخيراً

صوت لمياء الحنون وطريقتها المرحة في كلمة (آلو) لم تسمعها شيماء من

زمن بعيد ، فسألتها شيماء مباشرة عن أكمل.

- وليه أكمل؟ ممكن حاجة تانية تفرحني.

- لاااا، فرحة صوتك وحنينته، فيها شنب.

- يعني إيه؟

- يعني حب، أنا مجبك... احتواء تبقي عديمة الضمير لو قلتي إني مش

محتواكي ، لكن سيادتك محتاجة حب واحتواء ب.. شنب ويكون وسيم واسمه

أكمل ، احكي ... ربنا يستر شكلنا هنشوف أيام سودا.

- يا وحشة ليه سودا حرام عليكى ،أنا فرحانة قوي.

## وحكت لمياء كل ما حدث لشيء، وتستمع شيء حتى النهاية.

- عموماً أكمل كله على بعضه غريب ، هدوء العاقلين وثورة المجانين، حب  
بسرعة بعد جرح كبير بأسابيع ، كله ميطنش.

- أنا فعلاً قلقانة، لكني حاسه بجهه، حقيقي عينيه غريبة مش باين فيها أي  
حاجة لكن صوته صادق، أنا فرحانة مفرحتش كدا أبداً في حياتي.  
- رينا يستر، افهميه تماماً قبل أي خطوة.

توافقها لمياء وإن كانت لا تسمع لا تشعر، إلا بكلامه وصوته .

استمرت لمياء في طيرانها في سماء الاحلام شهرين ، أصبحت حياتها  
أكل وما يقوله وعقلها متعطل ، كل ما يحدث في يومها تضعه أمام أكل ،  
وهو يرشدها لما تفعل وهي تطيع وتنفذ وتأتي النتائج مبهرة. حتى في التعامل  
مع بناتها وخصوصاً البنت الكبرى فهي في بداية مشا كل المراهقة. كل ما  
يتوقعه أكل يحدث، وكل ما يشرحه صحيح.

طوال تلك الفترة لم يقل أكل لها كلمة أحبك ثانية ، لكن كل ما يقوله  
أوفعله يثبت جبه لها.

وأصبح كأنه يعيش معها في منزلها، الاتصالات من الاستيقاظ حتى  
النوم ، إلى أين تذهب؟ حكاياته عن يومه مع الطلبة وزملائه الأساتذة،  
وحكاياتها مع البنات، وماذا ستطبخ وحوارات حياتية لا تنتهي. ونسيت  
لمياء كل ما حدث من البشر أجمعين، ونسيت كلمات الحزن والوحدة.....

انتظم نوم لمياء ذهبت آلام المعدة والصداع ، مع وجه مشرق وابتسامة بحوية.

باهتمام وحنان أكل أصبح كل شيء عند لمياء؛ هين من خناقات إخوانها إلى نظرات الجيران ، فطبيها بارع حتى في علاج نفسه فلم يثور أو يتعصب بعدما عاهاها على التغير.

ذات يوم قابلها أكل وهو حزين، ألحت عليه، حتى أخبرها أن زوجته السابقة قد تزوجت..

ظهر الضيق على لمياء، فأكد لها انتهاء طليقتة من حياته، لكنه حزين على ما أخذته من شبكة وقائمة أاث من تعة ومجهوده وشقتة خاوية.. وأاث عيادته لا يتناسب ومكانته.

- لم لا تجدها؟
- أخاف تكاليف على الفاضي، والعيادة متشغلش.
- العيادة شغالة كويس جدًا، رغم إنك رجعت من الخارج قريب.
- لا العيادات الثانية مليانة أكثر رغم إنهم أطباء عاادين ومش أساتذة زيي، المرضى مش بيحبوني، هم يحبوا الدكتور اللي يططب.
- أنت حنون بالفعل مناسش أول مرة في العيادة...
- المقابلة دي ليكي بس ، الباقي غير كدا.
- ليه؟!

- أغبيا متخلفين، ميعرفوش من المرض إلا ضغط الدم ، كل اللي محتاجينه أقراص مسكنة وقياس الضغط ، لكن علاج حقيقي لا. دكتور معاه شهادتي

المفروض يتعامل مع مرضى أعلى ذكاء وثقافة ، هنا مش مكاني.

- دا قدر ، حاول تطور اللي حواليك فيتحسن واقعلك.
- لا هسافر لأي مكان أمريكا ، الخليج ، أنا قررت.
- صعقت لمياء: تسافر؟ وأنا أعمل إيه من غيرك؟
- أنت مش شايغه اللي أنا فيه، بتزودي عذاب ضميري مش تقدرني ظروفي.
- وأنا؟ أنت قدرت ظروفي؟ عودتني على وجودك، تسافر بعد ما بقيت محور حياتي ، أنت معايا طول الوقت ، وفجأة تروح وتسيبني وليه؟ العيادة شغالة كويس.
- لا ، عاوز أكبر مستشفى نفسي في فلوس، وشقة كبيرة وإنني تيجي معايا.
- أنت تعرف لو سافرت أبو البنات بمنعهم من السفر معايا، مقدرش أعيش من غيرهم.
- سيبهم لأبوهم.. مهما كان هو أبوهم المسئول عنهم يعني هيقتلهم؟! ومسيرهم يسيبوكي هيجبوا ويتحوزوا.
- ويتابع أكمل كلامه ولمياء لا تقدرعلى فعل شيء حتى البكاء لا تستطيعه:
- بصراحة مقدرش أواجه إخواتي والمجتمع بزوجة بنتها طولها، متحملش غضب أمي وإخواتي، هيقولوا الناس إيه عليا؟

ينزل كلام أكل كالصاعقة على لمياء، ليزيدها ذهولا.

- لولي ... أنا عارف إن كلامي ضايكك ، آسف إنني عارفة مجتمعا، وطلبيتي اتجوزت راجل فاضي، وأنا آخذ واحدة بعيالها!
- استجمعت لمياء نفسها وعقلها من شتاته: أكيد عارف معنى كلامك؟

## أكل لا يرد خافضاً رأسه.

لمياء بصوتها المنخفض لكنه يشبه الصراخ في حدته والجهد في إخراجها:

- أنت بجد دكتوراه أمراض نفسية؟ حقيقي...؟. أنت أغرب إنسان شفته في حياتي ، مستعر مني ، أنا متقدرش تواجه المجتمع بيا أنا. ، ليه جوازك مني عار؟ أنا أصغر منك وأنت مطلق زبي ، بناتي أخذت بالك منهم دلوقتي بس ولا مامتك رفضت يا دكتور..تتذكر لمياء قصة الأنترية الذي اختاره بدون خطيبته\_ اااه صحيح .... الأنترية هه الأنترية اللي ضيع جوازتك الأولى مين اختارة ده أحتك ومامتك. صح؟ ( ثم صرحت بصوت عالٍ) رد عليا.
- أنت ابن ماما .... صح يا دكتور هه، وماما قالت نختار إحنا الأنترية وتضيع حبك.

## تخبط لمياء كفا بكف، ووجهها كالأموات.

- افهمي ، مش لازم نقول إن عندك بنات نقول مطلقة وخلاص أو منقولش والبنات نأخذهم في الإجازة من غير ما حد يعرف ، صدقيني ما أقدرش.
- وسيادتك عرفت إمتي إني دون المستوى المطلوب لرضا أمك وأحتك يا دكتور، متضايق من الناس البسيطة المتخلفة وأنت متخلف أكثر منهم ، أذيتك في إيه ؟ ليه كلامك معايا طول النهار، ليه ربطتني بيك ؟ أنت مجموعة من الأمراض ، أنا أحسن منك ألف مرة على الأقل مش بجدع حد ، ولا سلطان لحد على قراراتي يا دكتور.

سكتت لمياء لفترة لا تعلم ثوان أو دقائق ، ثم سمجت حقيبة يدها وقامت تمشي بصعوبة ، ولم يحاول أكل اللحاق بها ، فقط غطي عينيه بيديه.

مرت أيام ثقيلة كالخبي، ولمياء لا تحسب عددها ولا تفرق الأيام من بعضها ، لا أحد بجانبها إلا صديقتها شيماء وبناتها. وعائلتها لا تسأل عنها، رغم علمهم بمرضها.

بعد أسابيع وإشفاقاً من لمياء على بناتها، بدأت التحرك في البيت؛ تحضر الطعام بمجهود شديد وتبتلع الطعام بالماء لكي تستطيع القيام بمتطلبات بناتها وشيئا فشيئا عادت لحياتها اليومية العادية ، تؤدي كل ما يجب عليها عمله بلا روح حتى الذهاب مع البنات لتمرين السباحة أو السينما وشراء الملابس لهم .... كل شيء لهن على أكل وجهه، لا ينقصها إلا لمياء نفسها.

يتصل أكل ذات ليلة .. تحاول ألا ترد ... لكن محاولتها تبوء بالفشل وترد:

- آلو
- أيوه يا حبيبي ممكن أكلم ماما؟
- ماما مين يا أكمل؟!
- لولي؟ مال صوتك أفتكرتك واحدة من البنات.
- مال صوتي؟ برد عندي برد يا دكتور.
- ألف سلامة ، وحشتيني يا لولي.
- تنزل دموع لمياء رغماً عنها ولا ترد خشية أن يظهر البكاء في صوتها.
- لولي .. أنا عارف ...
- أكمل بتصل ليه؟

- لولي قلبي منقطع عليكى، لكن أمي سنها كبير ومش هتتحمل.  
- تعرف تسكت؟ أمك سنها مش هيتحمل على أساس إن الزواج مني عار،  
ولما أنت ابن أمك كنت قلت من الأول .  
- هتتحمل كلامك ومش هلموك ، لولي أنت جميلة جمال مؤثر، بمعنى إني  
أشوف اللي أجمل منك وأنساها بعد ما تمشي، لكن لولي ما تنتشيش ، حقيقي  
إنتي جمال وعيلة وفلوس وشياكة جاذبية لكن ...  
- أكمل، عاوزه خدمتين.  
- أو مري.  
- دلني على طيبة أمراض نفسية، بناء التأنيث، فاهمنى؟  
يذكر لها أكل اسم طيبة ويسألها عن الخدمة الثانية.  
- ما تنصلش مرة ثانية.

يغلق أكل التليفون بعدما ترفض الحديث معه.

تمر فترة أخرى لا تعرف لمياء سوى أنها أسوأ مما كانت، فقد أضاف لها  
أكل سرطان من شروط تشخيص الاكتاب، النظرة السوداء للمستقبل  
وكراهية المجتمع.

ليتها ما عرفته قد كانت حزينة، لكنها الآن يائسة تماماً لا تشعر بالفرق بين  
الذهاب للمصيف، تجلس وحيدة لا تحدث أحداً أثناء لعب البنات أو حل  
الواجبات معهن. وكثيراً ما شعرت باشتياق لأكل، الإنسان الذي أسعدها  
شهرين، ليس أكل الذي تعرفه الآن.

حرصت لمياء على عدم الانفراد بنفسها وتناول المنوم بمجرد نوم البنات؛ حتى لا تبقى مستيقظة. بعدما خلدت إلى النوم بقليل ىرن جرس التليفون لتفتحه بدون النظر لاسم الطالب متوقعة أنها شيماء، فهي من نتصل بها، لتفاجأ أنه أكل وصوته كمن يبكي.

- لولي وحشاني بجد.

- عاوز إيه تاني

- لولي محتاجك من فضلك.

- وأنا مالي روح لمامتك.

- لولي تعبان قوى مش قادر أتكلم بصراحة مع حد غيرك ، حاسس إني مش بعمل حاجة، مش بتقدم خطوه ، مش قادر على تجربة جواز جديدة مش عارف أختار.

تضحك لمياء ضحكة عالية كالخمورين:

- وتختار ليه ماما تختار، اسمع قول لأختك تختار لك عروسة زى ما اختارت الأنترية. وتكمل لمياء كلامها باستهزاء : أختك أدري منك بمصلحتك وتعرف الشروط الواجب توافرها في زوجة دكتور أكمل العظيم، حبيب أخته والحاصل على دكتوراة التحليل النفسي من أمريكا ..... واو دكتور أكمل اللي بينادى بتحريرو الروح والعقل وهو عبد من عبيد المجتمع.

- رغم إن كلامك كله سخرية بس حقيقى، مش متصور إني بعلمي ودراستي دي، أيجوز بطريقة الخاطبة.

تضحك لمياء ودموعها تنزل:

- الخاطبه تناسبك تمامًا.

يضحك أكمل بمراة:

- ضحكك لسه جميلة، إنتي طيبة قوي يا لوي، أنا لو مكانك وإنتي أذيتيني زي ما أذيتك مش هديلك حل لمشكلة عندك أبداً، وكنت هسمنت فيكي.
- حقيقي أنت أسوأ إنسان عرفته ، أنا مشتمش في إنسان مريض ضعيف، أنا أقوى وأفضل منك مئة مرة.
- كلامك حقيقي ، أنا زي جبل الجليد تلاقيه أبيض مضيء من بره، لكن جواه ظلام وبرودة ، مظهره يختلف عن جوهره تماماً، أنا هو يا لوي... مع الأسف.
- وضحت؟ شكرًا مع السلامة.

تستيقظ لمياء في اليوم التالي متخيلة إن اتصال أكل مجرد حلم ، ترتدي ملابسها؛ للذهاب للعمل، لتتوقف فجأة إن التليفون على الناحية الأخرى من السرير، إذا اتصال أكل كان حقيقيا وشيئا فشيء لتذكر المكالمة لتنزل دموعها من جدي، د ومشاعر حقيقية بالاحتقار والكراهية له يتصل لتنصحه كيف يتزوج من غيرها. تجفف دموعها وتنزل للعمل.

مر شهر آخر ويتصل أكل ثالثة لكن هذه المرة كانت مستيقظة ، تنزل دموعها بمجرد رؤية اسمه على شاشة التليفون ، جففت دموعها بسرعة لترد في آخر لحظة وهي متحفزة له.

- ألو (ثم تصمت)
- لسه كملي فاضل اتنين (ألو)
- عاوز إيه؟
- عارف إنك متضايقه مني.

- تضحك لمياء بسخرية: حلوة قوي كلمة متضايقه، دا على أساس إنك دوست على رجلي..... مش على روحي!
- ساعيني، ..وياريت تساعديني ومنتسيش إني ساعدتك على فهم أمور كثيرة، ورجعت ثقتك بنفسك.
- لا لا ، أنت فهمتي الناس الأسوأ في الحياة أمثالك؛ لأن ثقتي بنفسي مسابتنيش علشان ترجعلي .... جيت لك وأنا مش بثق في البشر، وسيتني وأنا بكرهم. أنت ضررتني أكثر ما نفعتي.
- وتابعت: الخلاصة.....المطلوب؟
- لولي ....
- تقاطعه لمياء: انسى لولي دي، أنا لمياء
- لا لولي أحنا لسه أصدقاء.
- مشفتش وقاحة أكثر من كدا، المهم خلص.
- ليا قريسة بتحبني لكنها مش في جمالك، هي سمرا وأنا مش بحب السمر، وسنها ثلاثة وتلاتين سنة ، مثقفة وبتحضر ماجيستير.
- مثقفة وبتحبك لكن سمرا ، متخلف حتى في تذوق الجمال.
- أيوه متخلف ومقدرش أقول كدا لحد غيرك.
- كلم أمك تدورلك على عروسة بيضا.
- أمك؟ اتغيرتي قوي يا لولي عمرك ما قلتي ( أمك)
- وأنت مالك أنا بعالجني صح ، قررت وبنفذ، انتهينا، مفيش لولي الطيبة البريئة .. ماتت، دلوقتي لمياء اللي أقسمت ما واحد تاني ينصب عليها ولا حقها يضيع.
- لولي أنا حبيتك بجد لكني اعترف بضعفي قدام أمي والناس.

- أنت بتحب نفسك بس، وعمومًا أنا ولا بحب ولا بحترم الضعفا.
- لولي كفاية عمري ما أتحمملت إهانات كدا.
- آه صحيح أنت مش بتتحمل كلمة، متحمل إهاناتي ليه؟

### يسكت أكل ولا يرد ، ثم يتابع حديثه كأنه لم يسمع سؤالها:

- أختي عرفني على عروسة شكلها عادي، دكتورة خريجة حديثة
- خريجة حديثة يعني بينك وبينها عشرين سنة ... أنت حرا!
- عارف إن الفرق كبير لكني أقدر أجاري سننها واحتواءها ومظهرش فارق السن ، أنا صحي كويسة.
- مش هتقدر بعد عشرين سنة ، هتكون هي في قمة أنوثتها وأنت عجوز متجاوز الستين وعلى المعاش ، أنت دكتور عظيم وتعرف كل حاجة ، إيه المشكلة؟ ياريت نخلص.
- مش بحس بمجاذيبتها، وبصراحة شاكك فيها، دكتورة صغيرة ليه تقبل بتمثيلية إني أشوفها صدفة؟ ليه تقبل؟! ... أنا قابلتها وطبعا أعجبت بيا جدًا، لكني متردد.

- تصرخ لمياء فيه: حرام عليك بنات الناس ، أنت معندكش قلب؟ ثاني بتشك...عمومًا هي قبلت أستاذها العظيم الجذاب الوسيم، ما اكتشفتش جبل الجليد لسه ، وطبعا عرفت تجذبها ليك وممكن تكون حبتك ، حسبي الله ونعم الوكيل ، صحيح يكون من حسن حظها إنك تسيبها ، لكن كدا حرام.

- لولي مش عارف أقول لك إيه؟

- متقولش حاجة، بس مش عايزة أسمع صوتك تاني.  
- حاضر يا لولي بس ضميري بيعذبني ، أقولك نصيحة؟  
- أنت تقول نصيحة ، وضميرك يعذبك ، أنت عندك ضمير؟  
- عندك حق ، فأكراني شيطان؟ أيوه عندي ضمير. ويتابع: اختارى صح،  
اختارى اللي يجبك لنفسك وميكونش طمعان فيكي مادياً ، بصراحة انا في  
البدايه كنت شايفك لقطه حلوه، شقه، عريبه وفلوس، لكني والله حبيتك بجد  
بعدها..... أنا.....

لا تدري لمياء، متى أغلقت التليفون ولا آخر كلماته وإن كانت قد سلمت  
أم لا؟!

بعد ستة أشهر كانت ملاحظ لمياء قد اختلفت، فالابتسامه البريئة قد  
اختلفت، ولا سكوت لموقف أو كلام لا يعجبها ، ولا تترك ثأرها.  
تقود سيارتها كمن يسير في الزحام، يضرب الناس بكوعيه في جنوبهم  
فلا سكوت لأي من كان.

وبعد أن كانت تتمنى من طليقها أن يتعد عنها فقط رفعت ضده قضايا  
نفقة، كالأسد الجريح أصبح الجميع يخشاه ويحسب لها ألف حساب.

فرحت لمياء بإنجازها واتخذته منهجاً ، فلا تنازل مع من لا يستحق  
والاستحقاق هنا حسب تقديرها. حتى يوم كانت لمياء بمكتبها تتابع عملها  
بشخصيتها، أحدهما قاسية جامدة لا تتأثر بدموع لكل الناس، والثانية  
رقيقة حنونة لبناتها وصديقتها شيماء والطيبين القدامي ممن تعرفهم.

## ذاك الوم

يتصل أكل على تلفون المكتب؛ لأنها لم ترد على الموبائل، طالباً منها بكل وقاحة أن يراها؛ لأنه سيسافر للعمل كأستاذ في إحدى الجامعات.

- يا ابني أنت مبتفهمش!
- يا ابني ومبتفهمش، أنا بكلم لولي ولا بكلم مين؟!!
- أنا مشغولة بعد إذن حضرتك.
- أنا أبجوزت من شهر.
- مبروك وبعدين، عاوز هدية؟
- لا، لكن وحشتيني.
- عيب عليك أنت عريس، هتعمل إيه بعد كدا؟
- قرفان يا لولي؛ مبخها صغير.
- مبخها على قد سنها، مش مشكلتها إنك كبير عليها.
- شفتك وإنتي بتعدي الشارع من أسبوع.
- آه، شفتك.
- كانت لابسة هدومها بسرعة .. كنا رايجين للدكتور .. كانت تعبانة بس هي بتلبس كويس ... لكن....

## تضحك لمياء ضحكة شامطة مقصودة:

- إيه التبريرات دي كلها، أنت مهووس بالمظاهر، وعمرك ما هتثق بنفسك أنت خلاص. راح أكمل الواثق، أنت أكمل المهزوز، المهزوم
- هسافر من غير ما أشوف القمر؟

- على فكرة قابلت دكتور محمود من أسبوع.
- مين دكتور محمود؟
- صاحبك وصديقك العزيز، اللي كنت بتعالجني بالتليفون بجمالة له.
- أنا كاذبت ، لإني كنت معجب بيكي.
- كذاب، أنت اعترفت إنك كنت طمعان.
- أكمل: آسف لولي.
- أنت بتعذر كثير وأنا مش قابلة اعتذاراتك، أقولك نصيحة: احترم نفسك ومراتك يا راجل الأيام الجاية هترد لك كل اللي بتعمله.
- اتكل على الله، وأغلقت التليفون.
- شعرت لمياء بالوحدة والفقدان؛ لسفر أكل ، تسأل نفسها: أنا بكرهه إزاي أفقده ، تبتمس .....إيه يا لولي، كجلي نسيان، تمنع دمعة من النزول وتسحب حقيبتها وتترك مكتبها وتمشي تجوب المحلات التجارية ، تشعر بالإجهاد فتعود للبيت.
- مرت أعوام، لتصل ثقة لمياء في البشر إلى الإلتهمة، وتصعد حدتها في التعامل مع من يمس طرف لها إلى قتها متبعة مبدأً جديداً وضعته. فيما عدا بناتي وشيماء فلتحترق الدنيا كلها. وأصبحت لمياء مريضة بكل الأمراض، ولا تذهب للطبيب فهي تعرف مرضها، حتى تضطر للذهاب لطبيب أمراض عصبية لألام شديدة بذراعها، فتطلب من شيماء الذهاب معها للكشف. وبعد عمل الفحوص لا شيء، ويقرر الطبيب عمل جلسات نفسية لها مع علاج بسيط في البداية حتى الشفاء.

## تضحك لمياء:

- دكتور مع احترامي لحضرتك، ربح دماغك مشكلتي ملهاش حل. وتتابع وهي تضحك ضحكة عالية: أنا دكتورة كبيرة ، دكتورة منازل.

- الطبيب: إزاي تضحكي وإنتي حاسة بالألم؟ ليه بقى تعبانة؟!

تدمع عينا لمياء من مفاجأة السؤال، وتلحق بدموعها، ولا تتركها تنزل على خديها.

- لا بد من الجلسات يا دكتورة من منازلهم .

تضطر لمياء بمساعدة شيماء من استيفاء قصتها في وقت قصير.

- مشكلتك في الوحدة، ونفسك اللي مش بتشق بالناس وتعاملهم بعنف، إنتي غاضبة حتى من نفسك والحل مصالحة مع نفسك، وبعدها مع من حولك.

- مش قادرة ومش عاوزة، مش هرجع لمياء الهبلية.

- لمياء الطيبة، ليه ما تجوزتيش؟

- تطلق لمياء ضحكة عالية: أنا أنجوز ثاني... لا .. ويطلع طمعان ولا

مرضان لا وألف لا.

- المرضان هو طليقتك، مين بقى الطمعان؟

تحكي لمياء حكايتها وأكل بدون ذكر اسمه وتفاجأ لمياء بدهشة على وجه الطبيب، ويسألها عن اسمه فلا ترضى أن تذكر اسمه... فيكمل الطبيب حوارها معها، ولم تنتبه لمياء لنيته؛ ليتركها تحكي حتى سألها فجأة

- هو ليه عمل كدا؟!

- تقصد مين زوجي ولا أكمل؟

- يضحك الطيب وتفاجأ لمياء بما قالته وتشعر بالضيق منه.

- أها إنتي، عرفت من بداية الحكاية إنتي اللي حكي لي أكمل عنها.

**تصعق لمياء ويستمر الطيب في الكلام:**

- أكمل زميل واضطر يحكي عنك؛ لأنه كان تعب قوي .... وما زال ....

كدا عرفنا العلاج.

- تسأل لمياء: إيه العلاج؟

- الطيب: الإيمان إنك الأفضل إنتي على حالتك دي، إنما بتحترمي نفسك

ومش تحتقريها وما عندكيش إحساس بالذنب، إنما هو حاسس بكل دا وكمان

مرضه الأساسي اللي عارفاه.

- ويتابع: إذأ إنتي الأقوى، إنتي الأفضل ومستقرة نفسيًا أكثر منه بكثير.

- لمياء : أنا!

- الطيب: بالإضافة إلى عذابه من زوجته كما توقعيتها وأكثر، مفيش تفاهم

كهاشي ومبقاش أكمل المعتد بنفسه، بقى رجل بائس يعيش لأولاده مع زوجة

تعشق الصراخ والخناق. حياته مجر فيها على حاجات بيكرها ولا يقدر يعترض

ولا يهرب. إنما إنتي لولي كما كان يقول: لولي بحيرة على شيء؟ ويتابع دون انتظار

ردها : لا بني آدم يقدر يجبرك على حاجة وراسك مرفوعة، تسامحي في حياتك

كلها مع الناس مش كل الرجال جوزك ولا أكمل.

**تهز لمياء رأسها بالرفض لكلامه. ويكمل وكأنها لم ترفض:**

- التصالح مع الناس مفيد ليكي، مش للناس، نتعلم البعد عن المشاحنات،

وفي نفس الوقت الحرص إن محدش يخذعنا.

- أخيراً تنطق لمياء: أنا سعيدة، اللهم لا شماتة؛ يشرب اللي عصره بالهنا  
والشفاء ربنا يزيدہ ...  
- اسمعي.

- اسمع أنت لوجه الله، اكتب لي أقراص تساعدني على تحمل الحياة، وتربية  
بناتي وإلا ذنبي وبناتي برقتك لو مرضت أو مت. وبعدين نفكر في الصلح  
..... هتصالح.... مع كل حاجة، وعد، صدقني

وتتنفس لمياء بهدوء، والطبيب يكتب الأقراص المناسبة لها.

- ها هتصالحني عليها؟

- على مين؟

- الدنيا، إنما لمياء أنا بحبها.

تمت

## سنة

نشأ سيف طفل ذكي لأب وأم من عائلة ذات مراكز مرموقة، ونظراً  
لانشغال الأب الدائم بعمله وقع عبء تربية الأبناء على الأم التي تركت  
عملها عن اقتناع، طبقاً لقوانين الأسرة للتفرغ لتربية سيف وإخوته. وكانت  
الأم قوية حازمة، لا تفوت هفوة للأطفال، فربتهم على الصلاة والالتزام،  
كما تربت هي وأما وجدتها، دائماً كانت الأم تذكر سيفاً بوقار أبيه وصرامته  
وجديته في عمله واحترام الجميع له، ولا بد أن يكون مثله، أما البنات فتربيتهن  
مثلاً سبق، بالإضافة للحجاب المبكر والزواج المبكر من شاب يشترط فيه  
نفس صفات العائلة، من وقار وجدية ومركز وإخلاق...

كان ترتيب سيف الرابع في الأبناء، يسبقه ثلاث بنات ويليها ولد. تمتع سيف بمستوى عائلته المادي المرتفع؛ فكان التحاقه بالنادي أمرًا عاديًا، وتعلمه رياضة الكاراتية، حتى وصل للمستوى السابع. ولأن سيف يطبق جميع الأوامر والمبادئ والأصول، ويتعد عن ما يقلل من هيئته بالإضافة إلى تحمله المسؤولية وخفه الدم، كان محبوباً ممن حوله وعائلته. لكن ما كان يؤخذ على سيف تغيره المفاجئ من حال إلى حال، كما ظهر في تحول المفاجئ لهم من الالتزام الهادئ إلى اعتناق فكر إحدى الجماعات المتشددة، فأطلق لحيته بلا تهذيب وارتدى الجلباب القصير و..... تذهب كل محاولات الأب والعائلة لإبعاده عن هذا الطريق هباءً؛ حتى تركهم فجأة وخلق الجلباب وعاد لتأنيقه المعتاد.

ولم تفهم العائلة لم ذهب؟ ولماذا عاد؟ ولم يسألوه، فلمهم عندهم أنه عاد. لكنهم لم يدركوا أن سيفاً لا يتحدث بما يدور في رأسه من أفكار، فهو يدرس ويفكر طويلاً، ثم ينفذ سريعاً بمجرد اتخاذ القرار، فيبدو الأمر مفاجئاً لمن حوله. كان الجميع يعلم أن حلم سيف الحصول على الدكتوراه في الهندسة، لكنهم لا يعلمون الحقيقة، إنه قرار وليس حلماً، وقد عمل سيف على تنفيذ قراره حتى التحق بكلية الهندسة.

كان سيف مثلاً للشباب الراقى الجذاب، بجانب تربيته؛ فهو طويل القامة، متناسق الجسم، له شكل الرياضيين، نحري اللون، ذو شعر بني وعيون عسليه، فكان له خلال سنوات الجامعة، ثلاث تجارب عاطفية، لكنها انتهت كلها من ناحيته، رغم أنه لا يتلاعب أو يخدع، إنما نتيجة اقتناعه بقواعد الزوجة وقوانينها، كما يراها في أمه وأخواته، وكل من أحبهن

مخالفات لقاعدة أو اثنتين، وبالتالي لا يصلح للزواج من وجهة نظرة! ونتيجة لوفاة والده لم يحصل سيف على التقدير الذي يؤهله لدخول سلك التدريس في الكلية، لكنه لم يفكر لحظة في التخلي عن قراره. (الدكتوراه)

وبدأ فوراً في العمل كمهندس تنفيذي، بعد تأجيل التجنيد نظراً لصغر سن أخيه، ثم أعفي بعد ذلك مع بعض الدفعات التي أعفيت، وكما كان سيف متفوقاً دراسياً كان جاداً ملتزماً صارماً في عمله، كما كان الأب المثل والقُدوة، كان سيف يتابع عمله تحت الشمس وفوق السقالات بلا ملل أو إهمال، وعانى كأبي مهندس مصري حديث التخرج من مشاكل المقاولين وسرقة مواد البناء، فتنقل من شركة لأخرى، واكتسب خبرات كثيرة، حتى فاز في مسابقة للعمل بشركة كبيرة شهيرة لا سرقة فيها وإن ظل غير راضٍ عن أساليب العمل وأدواته؛ فهو يحلم بما يطلع عليه من أدوات بناء حديثة في المجالات الهندسية والمؤتمرات.

اعتاد سيف الاستيقاظ؛ ليصلي المغرب، بعد قيلولة الغذاء، وينزل ليقابل أحد الأصدقاء، والأغلب زيارات إخوته وتلبية طلباتهم وأمه. بينما هو ذاهب لمقابلة صديق يسكن في نفس شارعهم الراقى، لفتت نظره فتاة شقراء رائعة الجمال، ذات عينين خضراوان، وجسم رشيق رقيق كملامحها، تسير مع فتاة أخرى وسيدة، ويتبعهم بعينه ويدخل خلفهم صيدلية بجوار سكن صديقه متعللاً بشراء مسكن ويملكها؛ حتى تنهيا ويتبعها للخارج، لتزل قدم السيدة فيسرع سيف ويمنعها من السقوط ويسندها لتجلس، مظهرًا الاهتمام بها ويبدل جهدا حتى لا ينظر للفتاة الشقراء حتى لا تضع هيبتها، ويطلب منها الانتظار حتى يحضر السيارة لتوصيلهم وتخبره السيدة أنها

تسكن الفيلا المجاورة ليكتشف أنها أم صديقه المتواعد معه.

وكعادة سيف، التفكير العميق الطويل، درس فكرة زواجه من الفتاه الشقراء، فهي أخت صديقه ومطابقة للمواصفات المعروفة لنا كما سبق. فعائلتها محترمة مستقرة كعائلته، أبوها ذو مركز مرموق والأم طيبة حازمة كأمه وأكثر تشددا في تربية البنات، وهي طالبة في كلية نظرية مرموقة بالإضافة لما تهوى نفسه، وإن لم يصرح به (الجمال) وبفكير شاب شرقي، ماذا يتبقى من مواصفات جيدة؟ الإجابة: لا شيء فكل النساء بعد ذلك سواء!!!!

تمت الخطبة بمباركة العائلتين على أن يتم الزواج بعد انتهائها من الدراسة بعد سنتين، لم يخرجوا تخطيبين إلا مرتين خلال شهرين، وفيما عدا ذلك زيارات أسبوعية يجلس مع ليلي وأسرته.

لاحظ سيف أن خطيبته ليلي صامته دائما، لا رأي لها في أي حوار يدور بينهما، ولا قرار لها إذا طلب سيف رأيها في موضوع يخصهما، وردها الدائم: « كما ترى»، وكعادة المصريين برر ذلك بأنها صغيرة السن ونجولة، وقلة تعاملها مع الناس، ولا تخرج وحدها أبدا، فلم يقلق سيف حتى بعد أن عرف صحتها وسط عائلتها، فقد كان مأخوذاً بجمالها فرحاً بموافقته على كل ما يقرر، مستبشرا بعدم وجود خلافات.

تمرض أم سيف وتدخل المستشفى ويزداد مرضها، ولم تتأخر عائلة ليلي في زيارتها اليومية صباحاً ومساءً، حتى توفيت الأم، وتسانده عائلة ليلي نفسياً في حالة الحزن الشديد التي أطبقت على سيف لارتباطه الشديد

بأمه، فبقي بحجرته أسبوعين طالقاً لحيته تاركاً عمله.

فكانت حماته تذهب يومياً بالطعام له وأخيه الأصغر، ولتخرج من حماته اضطر للخروج من حجرته ليريحها من إحضار الطعام ويتعلم الطهي ويعتني بأخيه الأصغر، وعاد لعمله واستمرت الحياة في مسارها.

وتظهر طيبة حماته وصفاء نيتها بأن تشير عليه بسرعة تجهيز الشقة للزواج؛ حتى لا يعيش وحده في حزنه ولا داعي للانتظار إنهاء ليلي لدراستها.

ويبدأ كل طرف في التجهيز طبقاً لما اتفقوا عليه، وطبقاً لنظام عائلته (والذي يلتزم به) كل طرف حري في انتقاء ما سيدفع ثمنه لكن تفضلاً من سيف، أحضر صور غرف نوم وسفرة؛ لتنتقي ليلي وأما منهم، ولم تطلب ليلي كأبي عروس مشاهدة كالجولات أو اللف على المحلات لمشاهدة غرف أخرى، وتم كل الجهاز في هدوء شديد وفرح صغير بلا اعتراضات أو اقتراحات من ليلي.

مرت أشهر على الزواج ووجد سيف في ليلي ربة منزل رائعة وطاهية ممتازة، بلا طلبات ولا تطلعات ولا اعتراضات، لا ترفض طلباً لسيف، لكن إذا سأها في شأن لهما تجيبه بسرعة، أنها نثقت في حسن اختياره وتطالبه بتركها لكثرة أعمالها بجانب دراستها. أما كزوجة فلم يجد سيف ما يحلم به. وإن لم يصرح بأحلامه. أي شاب في عروسه؛ فلا مناغشة ولا دلال ولا تفاعل مع سيف في علاقتهما الخاصة .. صامتة في كل .. كل علاقاتها به.

حاول سيف بالتلميح تارة والتصريح تارة، بما يريد من ليلي كزوجة، بلا فائدة. ليتجه سيف للانغماس في العمل ودراسة الماجستير، واضعاً قناعاً من الصرامة في التعامل مع زميلات العمل؛ للبعد عن إيه مغريات أو تقارب مع أي امرأة.

أما ليلي فتعمل في المنزل، لا تفتح باب حجراته إلا لتبلغه بقدم ضيف أو للطعام، بلا ضحكة أو حتى سؤاله عما يفعله أو من يحادثه حتى لو كانت المتحدثة امرأة!!!!

بينما كان سيف يبحث عن مرجع في دار الكتب، اشترى لها مجموعة من الروايات العاطفية المصرية المترجمة، عليها تفهم وتعلم منها طبيعة علاقة المتحابين أو المتزوجين، ولم يجد منها أي تغير. فسألها: لم لا تكوني مثل بطلات القصص اللاتي يحتضن ويقبلن أزواجهن فجأة أو غيره من (مناغشة) ليفاجأ بردها: أنا غيرهم.

- يحترق سيف غضباً: ليه؟

- ليلي: أنا كدا.

بدأ سيف هو الآخر الاتجاه للصمت، فقد سأم الكلام بلا رد وشعور البرود وفقدان العاطفة والروح، زاد الأمر بعد أن وضعت ليلي أول طفلة لها فانشغلت أكثر وانفصلت لتنام في غرفة الطفلة. « وتتركه لمذاكرته » كما قالت له.

مرت أربع سنوات حصل سيف خلالها على الماجستير بجانب خبرة واسعة في عمله، وبدأ البحث عن دولة أوروبية تقبله كدارس وقضى وقتاً

وجهدا في التقدّم للسفارات ومعرفة شروط كل دولة حتى استقر أمره على السفر لهولندا التي تشترط دراسة اللغة بها سنتين حتى الإجازة، عكس ألمانيا التي تشترط إتقان اللغة قبل السفر.

وبدأ سيف في تجهيز الأوراق، للإقامة كدارس وكعادته كان يدخر المال الكافي لتنفيذ قراره (الدكتوراه) كجزء من تخطيطه لمستقبله مع نفسه.

في حين أنجزت ليلي ثلاثة أطفال في أربع سنوات، وانفصال نفسي عن سيف رغم أنها تحبه واستعدادها لتحمل بعده عنها لتحقيق حلمه، بلا أمل في تقاعلها أو الخروج عن صمتها أو التغيير حتى في ملابسها هي دائماً بجلباب البيت؛ لتخدم أطفالها كما يجب. يصل سيف مطار أمستردام، بعدما قضى رحلة الطائرة باكياً؛ لابتعاده عن أطفاله وخوفه عليهم، واثقاً من حسن رعاية ليلي لهم بمساعدة عائلتها والتي انتقلت للعيش معهم حتى يعود.

ينشغل سيف في إنهاء إجراءات المطار السهلة المرتبة، وبالتالي سريعاً يخرج من المطار متوجهاً إلى المترو (أندر جروند) للذهاب إلى «مير» حيث سيقم ويدرس أثناء بحثه عن شباك التذاكر الخاص لـ «مير» يجد رجلاً أسمر، شعره أسود، يسلم عليه ويعرفه بنفسه باللغة العربية، اسمه محمد من المغرب ويقم في هولندا من فترة طويلة، ويسأله سيف: كيف عرف أنه عربي؟! ليجيبه محمد أنه أحس أن سيف مصري من شكله، وبصعوبة يفهم سيف منه مكان الشباك بلهجته المغربية منها سيف لتغيير توقيت ساعته.

يصل سيف «مير» وبالتاكيي يصل الفندق الذي حجز فيه مسبقاً عن طريق إحدى الشركات السياحية.

كان فندقاً ثلاثة نجوم، ثمن الغرفة في الأسبوع ٣٥٠ يورو بدون طعام، يفاجأ سيف بفخامة الفندق، وديكوراته وتجهيزاته التي تتعدى فخامة فنادق الخمس نجوم بمصر، وما إن دخل سيف غرفته حتى أجهش بالبكاء. ومشاعر غريبة وشوق لأطفاله، من الثانية عشرة مساءً وحتى الرابعة صباحاً لا يستطيع النوم، يريد الخروج للشارع تمنعه مشاعر خوف لم يعرفها في نفسه من قبل، حتى يقرر كسر حاجز خوفه ويخرج.

كان سيف قد وصل يوم جمعة وهو بداية إجازته نهاية الأسبوع من منتصف الجمعة إلى صباح الاثنين، والهولنديون لا ينامون في الإجازات قبل الصباح، يجد سيف الشوارع مليئة بالساهرين.

بجانب الفندق يجد مجموعة فتيات من جنسيات مختلفة، شكلهن يني عن مهنتهم بما يسمى ( توهور ) أي فتيات ليل، والشرطة هنا وهناك لا تعترضهم؛ ليعلم بعد ذلك أنهم يعملون بتصريح عمل من الحكومة، ويخضعن لقانون العمل الأوروبي كأبي عامل، ويدفعن ضرائب عن عملهن كفتيات ليل. يتمشى سيف في الشارع الرئيسي، والذي يقع فيه الفندق، مأخوذاً مما يراه من رجال ونساء من كل الأعمار في أوضاع مختلفة على جانبي الطريق.

والشرطة أيضاً لا تقترب منهما، ويتضح له فيما بعد أن القانون الهولندي يبيح لمواطنيه الحرية الكاملة لفعل ما يريدون، لا يجرم إلا من يخلع كل ملبسه، كان سيف يسمع عن التحرر في أوروبا، لكن من سمع ليس

كمن رأى، ولا أحد ينظر إليهم إلا سيف والذي يحاول تجاهلهم بصعوبة.  
يكل سيره ليجد على صفي الشارع وعلى دورين فتارين لعرض نساء شبه  
عاريات، ولكل منهن سعر حسب سنها وجمالها والإقبال عليها ليتراوح بين  
ثلاثين وخمسين يورو، يبعد سيف عينيه عنهن؛ مشفقاً عليهن. يكل سيره  
ليجد تجمعاً كبيراً عند شاشة عرض عملاقة للدعاية على باب كازينو، يقترب  
ليجد فتاة ترقص رقصة التعري (الاستربتيز) بالداخل، يسرع بالجري من  
أمامها خافضاً رأسه؛ لكي لا يراها فالفتاة رائعة الجمال.

يجلس على «الكافية» الملاصق للكازينو؛ ليستريح ويكل الاستعاذة بالله  
والتسبيح والذي بدأه على باب الفندق. ويعود للفندق متحاشياً النظر لكل  
مثير رآه والنتيجة أنه لم يرفع عينيه عن قدميه، حتى وصل وصعد لغرفته  
لينام.

يخرج سيف صباح اليوم التالي بعد أن سأل موظف الفندق عن أماكن  
تواجد المصريين ويصف له أحد (الكافيات) كتجمع لهم. يذهب لمقهى  
المصريين يسمع لهجات عربية مختلفة ويتلفت حوله يبحث عن يحادثه، يجد  
رجلاً أبيض، شعره أسود، يبدو من شكله أنه ينتمي لمنطقة الشام، ينظر  
لسيف ويسأله: مصري؟ يشعر سيف كأنه ينجو من الغرق، وعدنان السوري  
فرح بمن يتحدث معه باللغة العربية، موضحاً له فيما بعد أنه قد شعر تجاهه  
بأخوة وصدقة، وكأنه يعرفه من زمن.

يعرفه عدنان بنفسه أنه يعيش في هولندا منذ تسعة عشر عاماً، ومتزوج من  
محامية هولندية وحصل على الجنسية الهولندية ولديه ابنة شابة. وقد ساعدته

زوجته على الحصول على عمل كترجم في المجلس المحلي، ومدرس لغة عربية بإحدى المدارس الليلية وكحلف قضائي في المحكمة، ولتبدأ صداقة تقوى بمرور الوقت.

يذهب سيف في اليوم التالي لمكتب العمل لتسجيل اسمه؛ لسرعة الحصول على عمل، كما نصحه عدنان. وفي المساء يأخذه عدنان في جولة بسيارته؛ لتعريفه بالمدينة، وتحادثا في أمور كثيرة، وأخذة لماركت لشراء طلبات لبيته واشترى سيف بعض المعلبات ووجد أسعار الطعام رخيصة جدا سواء المطهي أو الطازج، ويخبره عدنان أن الحياة هناك رخيصة ماعدا السكن والغاز والكهرباء والضرائب، يقابلهم رجل يسلم على عدنان بحمارة، ومعه طفلان ويحمل سبت الماركت ليفاجأ سيف أنه النائب العام، ويعتاد سيف بعد ذلك رؤية وزراء أو نواب في المترو أو الأتوبيس. يوصل عدنان سيف للفندق على ميعاد لقاء آخر.

ويتصل سيف على أولاده واطمنن بسماع أصواتهم، ويصلي ويسبح حتى ينام.

في الصباح التالي قدم أوراقه للجامعة، وطلبوا منه التوجه لمكتب خاص لتحديد مستواه الدراسي، يقدم نفسه للممتحنة وتساءله عن سنوات دراسته وتذهل قائلة (أماي) يعني: بالهول أو (ياهو) بالمصري؛ عندما أخبرها أنه درس أربعاً وعشرين سنة، فتحدد له مستوى الثانوي، لدراسة اللغة نظراً لسنوات دراسته الطويلة؛ لأن الأغلب في أوروبا يكتفي بالثانوي ويعمل ولا يدرس بالجامعة.

عاد للجامعة بنحتم تحديد المستوى ويطلب منه وجود عنوان سكن. فيدفع المصاريف وكانت ألفين وسبعمئة يورو، وبدأ في البحث عن سكن. يتوجه في المساء لمقهى تجمع المصريين ويسأل عن مصري فيتعرف على عبد السلام مهندس مثله، ويعمل في هولندا منذ مدة طويلة وهو من الإسكندرية، ويعيش وحده لأنه يخشى على بناته من الحياة المتحررة هناك، وحكى له أنهم يشرحون للأطفال في الحضانة حقوقهم في القانون الهولندي، وكيف أن ابنة زميلهم في الخامسة من عمرها قالت: «ليس من حَقك أن تعنفني وإلا سأبلغ البوليس عنك».

وابنة زميل آخر بلغت الثامنة عشر فتركت البيت لتعيش مع صديقتها، وعندما حاول أبوها منعها، طلبت له البوليس، وأخذ عليه تعهد بمنعه من القرب من منطقتها. كان سيف ينوي إحضار أطفاله بعد الاستقرار، لكنه ألغى نيته بعد سماعه تلك القصص.

وأرشده عبد السلام إلى عنوان سكن في نفس الشارع الذي يقع فيه الفندق. يشعر سيف وعبد السلام بالراحة النفسية المتبادلة، والحوار بينهما أمدهما بإحساس أمان الوطن المفقود منذ وصولهم، ويتبادلان أرقام تليفوناتها للقاء آخر.

يذهب سيف لاستئجار الشقة التي أرشده إليها عبد السلام، ويتسلم عقد الإيجار ويذهب به إلى الجامعة وقسم الشرطة؛ لإبلاغهم بالعنوان، ويأتي ضباط شرطة للتأكد من وجوده، وبالتالي إبلاغ الجامعة به وختم كارت الإقامة للدراسة.

وهكذا استقر سيف في خلال شهر وفي الشهر التالي حصل على وظيفة مناسبة، فرح عبد السلام بوظيفة سيف في شركة إعلان، كمدخل للصور على الكمبيوتر؛ لأنه من الصعب الحصول على وظيفة مثلها، وأعدده من المحظوظين بها، القانون الهولندي يسمح للطلبة بالعمل ثلاث ساعات فقط تودع في حساب بنكي باسمه بعد اقتطاع الضرائب، لكن سيفاً كان يعمل خمس ساعات أخرى بالاتفاق مع صاحب الشركة من الباطن، ويتسلم سيف أجرهم بيده بعيداً عن البنك فكان مرتبه يكفيه ويرسل مصاريف أولاده شهرياً بمصر.

يتعرف سيف على مجموعة من المصريين منهم أحمد، والذي تزوج بعد ذلك من هولندية تعرف عليها عن طريق سيف، وأنجب منها بنتاً، وسمير مدمن الخمر وفتيات الليل، وعمرو المتزوج من هولندية طيبة تكبره في السن من أجل الجنسية، لكنه أحبها بعد ذلك ويعيش معها سنوات، ويضطر أن يطلقها، ليتزوج مصرية وينجب أطفالاً وتقبل الطلاق، وهي حزينة وحكايات لا تنتهي عن المصريين هناك. يخترط سيف في العمل والدراسة في المدرسة الثانوية، والتي شاهد فيها الطلبة والطالبات، والمثليين أيضاً، في أوضاع مخلة في طرقات الدراسة وقاعاتها بلا تدخل من أحد؛ طبقاً للقانون الهولندي طالما لم يخلعوا ملابسهم، ما جعل سيف يتأكد من صحة قراره بعدم إحضار أطفاله.

دراسة اللغة كانت صعبة بالنسبة له في العام الأول، لكن سيفاً اجتهد في التعامل مع من حوله؛ لإتقان اللغة. مرت الأيام حلوة في صحبة الأصدقاء في نهاية الأسبوع، ومرة أحياناً كأول يوم في رمضان والعيد بعيداً عن

## الأهل والأبناء.

ويتعرف على مجموعة لطيفة من المغاربة، وينصحه عبد السلام بالسفر معهم في الإجازات؛ للسياحة فهم يعرفون كل شبر في بلجيكا وفرنسا، بالإضافة لإسبانيا ومعهم ستكون السياحة جميلة ورخيصة الثمن أيضاً، فاستطاع قضاء العطلات في السياحة معهم، ناسياً مرار الغربة.

مر العام الأول ورتب لإجازة شهريوليو في مصر، فمن حقه طبقاً للقانون العمل أسبوعين إجازة في يناير ومثلهما في يوليو أو أن يجمعهم معاً شهراً كاملاً سواء في يناير أو يوليو، جهز حقائبه وهدايا زوجته وأولاده وخرج ليتمشى في الشارع الرئيسي، وكعادته يسبح ويذكر الله خافضاً رأسه؛ طالباً الحماية من الله مما يراه بالشوارع من عربي وحرية طبقاً للقانون الهولندي. يسمع الموسيقى التي اعتاد سماعها كلما اقترب من الكازينو، ولا يستطيع منع نفسه من استراق نظرة للشاشة الإعلانية التي تعرض رقصة التعري للفتاة الجميلة.

يجلس على الكافية المجاور للكازينو، يطلب عصير يشربه ببطء، ولا يستطيع منع نفسه من النظر للعشاق في أوضاعهم المخلة في الشوارع. يفاجأ سيف بدخول راقصة التعري بملايس هي أقرب للحشمة بالنسبة لمجتمعها، ينظر لها طويلاً، فتبتسم سائلة سيفاً: أتعرفني؟ يسرع سيف بالجلوس إلى منضدتها ويعرفها بنفسه، وكيف أنه رآها على شاشة العرض، تعرفه بنفسها، واسمها سارة، ويفاجأ مرة ثانية أنها متعلمة.

يسألها سيف:

- لماذا ترقصين هذه الرقصه؟ انت متعلمه وغير مضطره لها، يمكنك ايجاد

عمل اخر!!

ويصعق سيف هذه المرة من إجابتها،

- لماذا استعملت كلمة اضطر أنا أحب الرقص!

يصرخ سيف:

- إنها رقصة تعبر وليست رقصة عادية.

تضحك سارة:

- إنه فن. أتحسبني فتاه ليل؟ لا، أنا شريفة، واجتمع يحترمني، أنا فنانة،

والرقص تعبر أو غيره هو فن.

ويكتشف سيف أنها أيضاً تدفع الضرائب وتتبع قانون العمل الأوروبي،

ولهم حقوق نقابية وتدعوه للكاзино للمشاهدة ليقنع أنه فن.

طوال رحلة الطائرة وسيف يفكر في شخصية سارة المتزنة ذات الرأي

والحوار الممتع، ولو لم يكن قد شاهدها ترقص لما صدق أن تلك الشخصية

الرائعة راقصة تعبر، ويفكر في ليلي والتي لم ير امرأة هولندية في سلبيتها

وبرودها، وخصوصاً البرود، بدليل ما يحدث على جانبي الطريق طبقاً

للقانون الهولندي.

يصل لبيته، ويحتضن أطفاله طويلاً يتشمم رائحتهم غير مصدق أنهم بين

يديه، يرفع نظره أخيراً ويرى ليلي كما هي يظن أنها بنفس القميص الذي

تركها به، الفرق في نظرة شوق في عينيها أعطته بعض الأمل في تعويض ألم حرمانه والمشاهد المخلة التي يراها في كل مكان.

بعد أيام نجد سيفاً قد عاد لياسه من ليلي وصمتها رغم توقعه أحاديث طويلة تُحكى، عام كامل لكنها لا تحكي شيئاً، الحمد لله وكفى.

يعود سيف ليبدأ سنة دراسية جديدة، وينتظم في عمله لكن هذه المرة بلا خوف أو بكاء، فقط الاستمرار في التسبيح، وذكر الله وكأنه يستغيث بربه لإنقاذه من سأمه من ليلي وبرودها، واللهيب الذي يراه على الجانبين وشاشة العرض والفتارين، ويظل متمسكاً بالصلاة والهروب من كل امرأة تحاول إثارتها أو دعوته لقضاء وقت معها مبتسماً بسخرية ومرارة للفرق بين برود ليلي وسخونة من تدعوه.

وعلى مدار السنة يتصاعد غضبه من زوجته كلما تحدث مع امرأه ذات رأي وشخصية قوية، قوة غضبه، تدفعه للنجاح أكثر، والانغماس في العمل والدراسة. يمر العام الثاني أسرع من الأول، وقد أتقن سيف اللغة، ونجح واكتسب خبرات أكبر في الحياة والعمل ورحلات سياحة مع أصدقائه سواء المغاربة أو المصريين، وتشعبت علاقاته ومعارفه، وتوطدت صداقته مع عبد السلام وعدنان الذي يصحبه ثلاثة أيام في الأسبوع للمدرسة في طريقه للعمل، ويومين يذهب سيف للمدرسة في الباص.

ويتعرف خلال إحدى الرحلات إلى امرأة جميلة تدعى أنجيلا تدعوه للبيت معها ويعتذر سيف، ثم نتصل به وتدعوه لمشروب بمقهى تملكه، يذهب إليها، وتدعوه إلى الشراب ويطول الحوار ثم يطلب شاياً؛ ليقدر

على السهر وعند انصرافه يطلب منه الجرسون ثلاثة يورو ثم الشاي، فالدعوة لمشروب واحد فقط!!

وتبدأ مرحلة جديدة لسيف مع نساء هولندا والمعروف أنهم أجراً من الرجال في طلب الحب!!! ولم يستطع سيف النجاة من الإغراء المتواصل لهيلينا زميلة العمل وتنهار مقاومته أمام ملابسها القصيرة وجمالها الصارخ في ساعة الراحة بالمكتب، مستمتعاً طبقاً للقانون الهولندي وهو أن يفعل ما يريد مع حبيبته في المكتب بلا حساب طالما في وقت الراحة ولم يخلع ملابسها. وتبدأ الكارثة مع أول قبلة من هيلينا الجريئة، والتي يشعر أنها بسنين زواجه من ليلي كلها. وتستمر علاقته بهيلينا «طبقاً للقانون الهولندي» في المكتب أو السيارة فقط، رافضاً استقبالها في بيته أو تلبية الدعوة إلى بيتها.

دأ داداهاداه

حتى تضج هيلينا من رفضه العلاقة الكاملة وتبتعد عنه وهو على إصراره. ويصدم سيف بإصابة صديق عربي حاصل على الجنسية الهولندية بجلطة مخ عندما حاول إجبار ابنته على العودة معه لبلده لمنعها من علاقتها بصديق لها وتستغيث الابنة بشرطة المطار ويجبر الأب على تركها لأنها هولندية الجنسية مثله، وقد تحطت الستة عشر عاماً بعد حادث صديقه ووفاته يشعر سيف بحنين لأطفاله وخوف عليهم وخصوصاً البنت الكبرى ويقرر الحصول على إجازته السنوية فوراً والسفر للقاهرة بعد أن كان يفكر بقضاء الإجازة مع أصدقائه المغاربة في السياحة الأوروبية فيعتذر لهم ويعود.

يصل إلى بيته حاملاً الهدايا لأطفاله ولبلى كالمعتاد إنما الشوق لأطفاله فقط، بعدما سيلم على ليلي وهي ترتدى قيصاً لا يعرف اسم لونه أن كان بستاجاً أو ثلجي اللون ككل ملابسها والتي لا ترضى بسواها.

يسأم سيف خلال الإجازة من ليلي كالعادة إنما الجديد نفاذ صبره وعصبيته الشديدة وانفلات زمام أمره في الحرص على عدم علو صوته، يقطع الإجازة ويلحق بأصدقائه المغاربة في إسبانيا مكثراً إجازته معهم.

يبدأ سيف سنته الجامعية الأولى وأخيراً لم يعد ينتظر للمتحابين على جانبي الطريق مثل الأوروبيين ونسى التسيب وذكّر الله إلا عند النوم وعدم الانتظام في الصلاة وانخرط مع الأصدقاء الهولنديين معجبا بالفكر والاجتهاد الأوروبي، وما زال لا يشرب خموراً أو مخدرات ولا حتى السجائر العادية أو القهوة، وينتقل للعمل في شركة أخرى عن طريق مكتب عمل خاص يحصل على عمولة قليلة جداً حوالي خمسة يورو شهرياً عكس مكتب العمل الحكومي لا يحصل أي نقود من المستفيد.

وما زال يحرص على عدم النظر لفتارين عرض النساء ولم يلب دعوة سارة راقصة التعري بمشاهدة العرض داخل الكازينو.

والحرص على العمل ثماني ساعات يومياً بجانب الاجتهاد في الدراسة لإنجاز الدكتوراه في مده أقل من أربع سنوات حتى يتمكن من إرسال مصاريف الأولاد الشهريّة ومتطلبات حياته ودراسته، ولا ينسى إرسال حقائب الملابس والهدايا لأطفاله ولبلى، مع أي صديق مصري عائد لمصر على أن يدفع سيف ثمن الوزن في الطائرة حتى أطلق عليه اصدقاؤه ( سيف

شنطة) وقد حرص على ذلك طوال مدة إقامته بهولندا.

وتمر السنة الثالثة أسرع من قبلها وينجح سيف دراسياً واجتماعياً وعملياً أكثر وأكثر، ويسقط للمرة الثانية مع زميلة عمل جديدة طبقاً للقانون الهولندي حريصاً على عدم حدوث علاقة زنا كاملة يعود في إجازته لأطفاله وما زال محافظاً على قوة علاقته بهم رغم البعد عنهم محتويهم بنجاح خلال إجازته القصيرة، والتي أصبحت أسبوعين فقط والباقي يقضية في السياحة الأوروبية. وكعاده سيف وبعد نظرة قد بدأ في ادخار المال لتأمين مستقبل أبنائه وشراء شقق تملك لهم الواحده تلو الأخرى.

وما زالت ليلي تعتنى جيداً بتعليم الأبناء وتربيتهم على الصلاة والخلق الحميد ونظافتهم و..... ولا ترفض طلباً لسيف ولا تتساءل عن عدم رغبته فيها و ضيق خلقه وازدياد عصبته في التعامل معها، أو عن أي شيء آخر طالما الاطفال لا ينقصهم شيء.

الغريب في أمره أنه يعود لقناع الهيبة والوقار وانتظام الصلاة وعدم النظر لامرأة بمجرد نزوله أرض مطار القاهرة.

تبدأ السنة الرابعة في هولندا، والثانية في الجامعة وقد اكتسب سيف الكثير من الصفات الأوروبية، والتي زادته اجتهاداً في كل نواحي حياته والقدرة على الحياة وحده أكثر وأكثر، والشتائم القبيحة أصبحت ملازمة لكلامه وسفالة الألفاظ وخصوصاً مع الأصدقاء والنساء الهولنديات واللاتي أحبين ذلك منه جداً وطبعاً يعبرن عن مشاعرهن تلك طبقاً للقانون الهولندي والذي يطبقه سيف بحذافيره.

ويحتاج سيف إلى تغيير كارت الإقامة من دارس إلى عامل للحصول على عمل أفضل ولمدة أطول لادخار المال لتنفيذ ما اتخذته من قرارات لتأمين حياة أولاده، ويعطية القانون هذا الحق بعد مرور ثلاث سنوات على إقامته في هولندا، ويحتاج لإمضاء ثلاثة هولنديين كشهود على أنهم حسن الخلق منفذ للقوانين، والأهم غير متشدد دينياً.

ولأن القانون الهولندي يضع الطفل وما يخصه في المقام الأول في الأهمية تليه المرأة تلميها الكلاب وفي النهاية الرجل، اختار سيف أن تكون إمضاءات الشهود كلها لنساء وبدا بزوجة صديقه السوري ووافقت وزوجة صديقه المصري الطيبة، والتي طلقها فيما بعد وإن ظلت على علاقة الصداقة مع سيف، وافقت أيضاً ومضت بينما رفضت حبيبة قريب رغم ان سيف قد استضافهم في القاهرة من قبل إلا انها بعدما خانها قريبه اعتبرت أن العرب كلهم خونة ويجب طردهم من بلدها، فاضطر للحصول على توقيع أصدقاء عرب حاصلين على الجنسية لتدعيم موقفه، وأثناء توقيع الكشف الطبي للحصول على الكارت تعرف لموظفة في المستشفى الحكومي، أعجبت بلطفه وخفة دمه فدعته لانتظارها لتوصيله وكانت جميلة هادئة وتكبره في السن بعشر سنوات فانتظرها على أساس صداقة قد تفيده وقامت بتوصيله، ودعته لزيارة بيتها والتعرف لابنها ووافق لعدم خوفه من الوقوع في شركها لإحساسه ببراءة الدعوة ووعدها بالزيارة بعد انتهائه من استخراج الكارت، وقد كان، وحصل على كارت إقامه عامل.

ذهب سيف لتلبية دعوة مونيكا موظفة المستشفى، وتعرفه على ابنها المراهق ويلحظ أن لديها خلل نفسي ما، يعرفه بعد أن تحكي عن زوجها

الذي تركها وسافر وتولت هي تربية ابنهما لتظل سنوات طويلة ترفض صداقة أو علاقة مع أي رجل، حتى أحبت وانتقل الحبيب للعيش معها وابنها ليخونها ويهجرها وتصاب بعقده من الرجال تفقدتها الثقة فيهم وفي نفسها، ويفاجأ سيف بحديثها الصريح أنها لا تريد علاقة معه إنما تريد صداقته؛ لأنها قد ابتعدت عن كل أصدقائها ويقبل سيف مرتاحاً لذلك ويخرجان معا ويتزاوران لفترة، حتى تخالف هي ما اتفقت عليه مع سيف وتغريه أثناء نزهة لهم بالسيارة ويطبق سيف معها القانون الهولندي ممتنعا بعد ذلك عن الذهاب لبيتها لتنفيذ قراره بعدم إقامة علاقة كاملة حتى تضع من رفضه وتبتعد عنه ورغم افتقاد سيف لصداقتها إلا أنه أصر على موقفه، وينشغل أكثر في العمل والدراسة ويزيد في سياحته الفكرية والقراءة والاطلاع على كل ما هو جديد ويزداد ثقافة وسعة أفق تساعده عليه جارة له تخطت الستين من العمر والتي تعامله كأمه وتتخذ من أسرة عريقة ويستمتع سيف بحكاياتها عن أسلافها وكيف كانت الحياة في الماضي وتعلمه الرقص وأصول الإتيكيت القديمة والتي شعر معها أنه في فيلم قديم أبيض وأسود وتعرفه إلى المتاحف والمزارات ويزداد سيف ثقافة. يفاجأ سيف باتصال من مونيكا تريد رؤيته لعدم استطاعتها نسيانه، ويعود سيف لمقابلتها بالسيارة طبقاً للقانون الهولندي حتى تضجر منه وتبتعد ثانية.

يعود سيف لبيته ويلاحظ الجميع - ما عدا ليلي - تغير شخصية سيف وتحرره من توحيد طريقة التعامل مع الناس بشخصيته، وأصبح تعامله طبقاً لشخصية المتعامل معه ونتيجة لعلوه الثقافي والحضاري تعامل مع من أقل منه بحنان أكثر وشفقة على الطبقات غير المثقفة وإن كان مشفقاً على الشعوب العربية كلها، ولولا خوفه على ابنتيه من أخلاقيات

المجتمع الأوروبي لما تنازل عن تعليم وثقافة أوروبيين لأولاده، وتوضح هنا ازدواجية شخصيته الأوروبية الثقافة والعلم، والشرقية فيما يخص حريمه.

والنتيجة الحتمية لكل التغيير السلبي والإيجابي في شخصية سيف والسكون لدرجة الموت في شخصية ليلي تتصاعد المشاكل مع ليلي، ويخرج سيف عن دماثة خلقه مع زوجته ويقسم بتحريمها عليه كزوجته إن سلمت على أحد أقاربها على خلاف معه كأبي رجل شرق متخلف، وطبعاً لم تعترض ليلي وتضطر للسلام على القريب، وذلك عن نجل وسوء تصرف، وليس عن تحد أو إهمال لأوامر سيف الذي يطلقها رسمياً لدى المأذون بمجرد علمه بما حدث، ويرتد للشخصية الأوروبية فوراً بعد الطلاق، وكرجل دمث انخلق بإعطائها كل حقوقها والاستمرار في رعاية أبنائه والإنفاق عليهم وعدم إدخالهم كطرف في المشكلة بينهما، ويعود سيف لهولندا بعد قضاء أسبوع سياحه لطيف وحده شاعراً بالتححرر وبلا أي ندم على طلاق ليلي.

ويعود لعمله ودراسته مقرراً قضاء بقية حياته بأوروبا، ويجهتد ويعمل ويعيش كأبي أوروبي يرفض الخمر والمخدرات، وكشرقي يصر على رفض إقامة علاقه كاملة ويطبق فقط القانون الهولندي في شوارع ومكاتب هولندا.

ويعمر العام مستمراً في الإنفاق على أبنائه مرسلًا حقائب الملابس والهدايا لأبنائه كالعادة كلها وجد مسافراً، والحرص على حقيبة هدايا خاصة بليلى.

يحصل سيف على الدكتوراه في ثلاث سنوات فقط ويعود سيف مكلاً ثمن آخر شقة تمليك باسم ابنته الصغيرة والبقاء لشهر كامل بصحبة أبنائه ومنحهم حناناً وشوقاً واحتواءً لعام كامل.

ويخطئ سيف حين ذهب للسلام على ليلي وعائلتها وشكرهم على رعاية أبنائه، حاملاً حقيبة هداياها وباقة ورد كبيرة وتستقبله ليلي بشوق وفرح وعائلتها بترحاب كبير ظانين جميعاً أنه جاء لرد ليلي.

ويشعر سيف بظنهم ولا يفكر في تنفيذه لثانية واحدة، فقد وجد ليلي كما هي بملابسها الباهتة الألوان وردھا « لا شيء » على سؤال سيف عما فعلته من وقت سفره ومشى سيف مشفقاً عليها من دموع لاحظها في عيونها، نادماً على إحضار الورد الذي أعطاهما الأمل في الرجوع له.

ويعود الأستاذ مهندس سيف هولندا فكلمة دكتور لا تستخدم في أوروبا للعمل كأبي حاصل على الدكتوراة هناك في عمل راق بمرتب كبير ويشترى سيارة جميلة ويؤجر شقة أكبر وأفضل ويدخر لأبنائه أكثر، مؤسساً حياة مستقرة دائمة في أوروبا ويتردد في شراء منزل لحينته الرجوع لحياته في مصر وتحدث بغيته الكبرى في وفاة عبد السلام شبه المفاجئة فقد كان يعاني من مرض لكن حالته كانت مستقرة ويحلم باليوم الذي يعود فيه لأبنائه يعيش معهم بعد انتهاء أفساط جامعاتهم وشققهم حتى استطاع أحدهم الحصول على اجازته ومرافقه الجثمان، ويرى صديقه المقرب ومستشاره ويحل شكواه في صندوق خشبي متذكراً كل كلامه عن شوقه لأبنائه وعودته بدون المال الذي يحتاجونه، ويزيد الطين بلة أنه مرتبط بتسليم مشروع في موعد محدد، وترفض الشركة إعطاؤه إجازته ليرافق الصندوق إلى الإسكندرية خشية الشرط الجزائري الكبير، ويتباحث الأصدقاء فيمن يرافق الجثمان حتى يستطيع أحدهم الحصول على إجازته لمرافقته.

ويبكي سيف صديقه فترة طويلة كارهاً الغربية والمال الذي يمنعه من  
حضان أطفاله لذا عاد لبقاء شوقه لهم أو سماع أصواتهم في المكالمات  
التليفونية، وينقطع تماماً عن ممارسة القانون الهولندي بأي شكل من  
أشكاله، وعودة للتسبيح والصلاة التي توقف عنها

ذات ليلة يدفعه عدم استطاعته النوم من حزنه وانقطاعه عن تطبيق  
القانون الهولندي مع صديقه إلى الدخول لموقع على النت يذيع موسيقى  
مصاحبة لغرف الدردشة ( الشات ) يجد فتاة مصرية صغيرة السن تحكي  
عن أبوها الذي قضى عمره يعمل في الخليج، وتعيش هي وأمها في مصر وأنها  
تحمل هم الفترة التي يقضيها في الإجازة فهي لا تهتم بأمره ولا تشعر بحنانه  
وهو ينوي العودة ليعيش معهم وهي غير متقبلة لوجوده.

ينهي سيف حواراه مع الفتاة المصرية مقرراً إنهاء عمله والعودة النهائية  
لمصر غير متردد أو عابئ لمال أو ترف حياة ومنصب.

عندما أنهى سيف كل ارتباطاته وباع سيارته كان قد مر عام ونصف  
منذ آخر إجازة بمصر، وعاد محملاً بالهدايا كالعادة بالإضافة لحقائب كثيرة  
تحوي كمية كبيرة من الملابس الأنيقة والعطور التي يعشقها تكفيه لأعوام،  
بعد جولة سياحية كبيرة مودعا بها أوروبا.

يذهب سيف للسلام على ليلي واصطحاب أطفاله لقضاء إجازتهم معه  
حاملاً هداياها ويسألها عما فعلته في العام ونصف العام، وقت سفره،  
ليجيء الرد كالعادة لا شيء، وينصرف سيف غير عابئ بتوسلات إخوته  
وأطفاله للعودة لها فالكل لا يعلم السبب الحقيقي لطلاقه وضيقة من ليلي.

وسريعاً بدأ سيف البحث عن عمل لائق وقدم أوراقه وشهادات خبرته في جهات كثيرة حتى تسلم عمله في وزارة السياحه تكبير علاقات دولية مسؤول عن أقسام الإنشاءات التابعة للوزارة، واضعا في حسبانته الفروق بين العمل في أوروبا ومصر؛ حتى لا يصدم أويصاب بالضيق من البداية ويستطيع تكملة حياته بجانب أبنائه ورغم إعداد نفسه لإهمال الموظف المصري في العمل إلا أنه وجد الأمور أصعب مما أعد نفسه لها

من إهدار المال العام والبيروقراطية، وكثرة الإمضاءات على الطلب الواحد، والبحث يستغرق وقتا طويلا جدا بلا داع ودراسات جدوى غير موقفة وليست من أرض الواقع.

جاهد سيف مع نفسه ليكون متقبلا للواقع هادئ الأعصاب في معالجة أخطاء العاملين وإهمالهم منقسم نصفين بين الإشفاق عليهم من المرتبات الضئيلة التي لا تحتمل عقوبات الله والمواصلات الصعبة و... و..... وبين واجبه في انضباط العمل.

ولمحاولة إيجاد التوازن بين الموجود والمفروض كان يبذل جهدا أكبر في مراجعة أوراق على العاملين التابعين له القيام بها ، مقرا عمل اجتماع شهري لكل قسم تابع له ولا يتم أي اجتماع بدون توبيخ أو تحقيق مع موظف أو اثنين، تكون أخطاؤهم شديدة والعفو عن الباقيين.

لاحظ سيف أثناء الاجتماع مع موظفي أحد الأقسام إعجاب موظفة به ملاحظاً جاذبيتها الشديدة والتي تفوق جمالها بالإضافة إلى نظرتها الجريئة المثيرة كندساء أوروبا ويمر العديد من الاجتماعات بدون أن يستجيب لنداء نظراتها، فقد ارتدى القناع الشرقي منذ عودته إلى مصر كابتن كل رغباته واحتياجاته طبقاً للقانون المصري.

ذات يوم بعد نهاية الاجتماع نادى الموظفة ذات النظرة الجريئة «وعد»:

- دكتور سيف من فضلك قدمت طلب للنقل، ولم توافق الإدارة عليه.
- رسيف: احتمال لا توجد درجة لنقلك عليها، عاوزه تنتقلي ليه؟
- وعد: زميلاتي هنا بيغيروا مني ، دا غير قلة أدب الموظفين الرجال (وتخفض عينيها من الخجل) لأني مطلقة الكل طامع في.

يلاحظ سيف جمال ابتسامتها والأنوثة التي تفيض عن الحاجة بالإضافة  
لنظرتها الجريئة، يود معها لو يجرى من أمامها، كانت تضع كمية كبيرة من  
المساحيق كأنها ذاهبة لحفل مسائي وملابس ضيقة متناسقة الألوان وإن  
كانت رخيصة ليجد نفسه أمام نسخة (بلدي) مصرية للمرأة الهولندية التي  
يعشق جراتها.

يجيبها سيف وهو يستدير ليمشي واضعا قناع الهيبة للسيطرة على ثورة  
جسده بأنه سيبحث لها عن درجة للنقل لتفاجئه بطلبها لرقم المحمول  
الخاص به، يعطيه لها وينزل مسرعا ليجد المحمول يرن.

-آلو، يا دكتور أنا وعد، قلت أرن عليك لتتصل بي تظمني على طلي.

- سيف: حاضر حاضر متصل أبلغك.

ويكتشف سيف حلاوه ورقة صوتها وعذوبته وتلك مصيبة أخرى  
أضيفت لسيف.

بعد أيام يتصل سيف بوعد ليخبرها بعدم وجود درجة لتتقل عليها  
ويعدها بالنقل عند توفر الدرجة وتشكره محاولة إطالة الكلام معه ولا يعطيها  
الفرصة ويفر بسرعة.

تتصل وعد به مرتين أو ثلاثة للتهنئة بمرضان ثم العيد والاطمئنان عليه  
بعد أن ظهرت عليه أعراض برد وارتفاع حرارة أثناء أحد الاجتماعات.

يضطر سيف تحت ستار رد المجاملة بهنئتها بعيد الأضحى وتفرح وعد  
جدا باتصاله وتشكره، ويطول الاتصال لثلاث ساعات، لم يشعر سيف

بمرورهم وهي تحكي له عن حياتها وطلاقها وابنها.....

وسيف مستمتع بعدوبة صوتها وحلاوة حديثها مضيئة للنموذج الذي يحبه خفة الدم المصرية وبصعوبة يغلق الخط معها.

وإن بحثنا عن سبب الاتصال الحقيقي يوم عيد الأضحى، فبعد الذبح وتوزيع اللحم وزيارة خواته البنات ونوم الأطفال مبكراً من تعب اليوم، ظل هو وحيدا مستيقظا وقد مر عليه فترة طويلة لم يطبق القانون الهولندي مع صديقتته الهولندية واضعاً قناع الهيبة والوقار المصري والذي أصبح يضعه بصعوبة ويخلعه بسرعة بمجرد اختلاله بنفسه أو اتصال أحد أصدقاء الغربة به.

وما زال سيف على حالة من رعاية أطفاله في الإجازات وتلبية كل مطالبهم بالتعاون المحترم بينه وبين لى في تربيتهم أو تقويمهم. وكل منهم يوصي الأطفال بسماع وإطاعة أوامر الطرف الآخر.

تتصل وعد بسيف طالبة منه التدخل في خطأ في العمل وتحويلها للتحقيق ظملاً لأن المدير «عينه منها» على حد قولها وهي تصده. ويذهب سيف في اليوم التالي ليجدها صادقة وأن الخطأ ليس منها.

وكانت فرصته ليحيل المدير للتحقيق ورد الظلم عنها، ويذهب لمكتبها طالباً منها الاتصال في حالة حدوث أي مشكلة وينتبه لنفسه فيوجه الكلام لكل الموظفين ليتدارك خطأه.....

ومن الطبيعي اتصال وعد به لتشكره على حضوره وذوقه وشهامته

كانت تكلمه وهي خارجة من العمل ولم تره وهو يجلس في سيارته على الجهة الأخرى ليشاهدها وهي خارجة من العمل، ويسير خلفها بالسيارة وهي تحادثه، ولحسن حظها يتحرس شاب بها وهي تمشي فيوقف سيف سيارته وسط الشارع وينزل منها وينال الشاب منه علقه حتى يفرق الناس بينهما ظانين أن وعدا قريبتة، ويسحبها من يدها ويدخلها السيارة وهو منفعل ويعلو صوته لاثماً عليها ملابسها الضيقة المبرزة لصدرهما، وتبتسم هي ابتسامه جميلة وقد وثقت في نجاح مخططها.

ويتوجه بها لأحد الكافيات بحجة شرب كوب ليمون لتهدأ وفي حقيقة الأمر كان هو من يحتاج الهدوء.

ويتحادثان طويلاً، وفي الطريق لبيتها تصر أن تنزل بعيدا عن بيتها خوفاً من الجيران وألسنتهم، فيلي طلبها وتنزل، ويسير خلفها يجدها تسكن حارة ضيقة جداً في منزل متهاك، في حي شعبي، والمجاري تغطي شوارعه فيكتشف كذبتها بخصوص أمور كثيرة في حياتها وتنتبه هي لسيارته، فتصل به وتلومه أنه كان يمشي خلفها؛ لأنه لا يصدقها أن لهم ميراث وقف لمساحة أرض كبيرة، وينتظرون الحكم في قضيتها، وستصبح مليونيرة، ويفهم سيف جيداً بحكم عمله أن المنطقة التي ذكرتها تابعة للدولة وليست لأشخاص، ورغم ذلك لا يهتم إلا بها، ويرد عليها يطمئنها أنه يسير خلفها لحمايتها فقط.

ويعود لمنزله وجسده كله يؤلمه، وعقله متوقف تماماً عن العمل غير متذكر أي شيء إلا رغبته فيها.

واتصال مسائي بوعد يطول لساعات تتحدث هي ويسمع هو، حتى يبدأ

في خلع قناعه تدريجياً بنكتة بسيطة ثم نكتة خبيثة ثم .... ثم محادثات ليلية يومية ثم يخبرها بحبه لها ويطلب مقابلتها، ترفض في البداية ثم توافق منوهة أنها لا تقابل أحداً لكنها ستقبله لأنها تحبه وثيق فيه.

ورغم شكه في كل كلمة تقولها إلا أن سيفاً المرتدي قناع الهيبة قرر الزواج بها، ويقف في المرأة محدثاً نفسه: أنا دكتور مهندس سيف أزواج وعد التي يتقصها منديل بأوية، ويشمك، ولبانة لتشبه صاحبات سي السيد في فيلم بين القصرين، لكنه منهار المقاومة وعكس ما فعل مع الهولنديات يريد تطبيق القانون المصري ويتزوجها؛ لأنه يريد علاقة كاملة، ولتذهب كل الأتعة إلى الجحيم.

يقابلها في اليوم التالي طالباً يدها للزواج ويفاجأ بها تشترط شقة تمليك باسمها، وشبكة غالية مثل الشبكة التي أهداها لها الثري العربي، لكن زواجهما لم يتم لأنه طلب إتمام الزواج قبل إنهاء ابنها الثانوية العامة، يحاول سيف إقناعها بشقة إيجار بصفة مؤقتة، لكنها أصرت على طلباتها وتمهله سنة لإتمام الزواج.

ورغم علمه بأن عائلتها بلطجية، من زلة لسان منها، ورغم اكتشافه أنها توقع بين زملائها وزميلاتها، إلا أن سيفاً بدأ في مشروع خاص لكي يشتري لها الشقة والأثاث الذي تريده وسيتزوجها، هي التي يريد أن يخلع كل أفتعته معها ويعيش معها حياة وروح أوروبية بلا نخجل بنكهة بلدي مصرية.

أثناء أحد الاجتماعات يلاحظ اتساع فتحة صدر القميص الذي ترتديه.

ويطلب منها بعد الاجتماع رؤية بعض الأوراق، ليقبض على معصمها بيده بمجرد أن خلت الحجرة محذراً إياها من لبس القميص مرة ثانية، ويأمرها بالذهاب للحمام وغلق الفتحة بأي طريقة، وترفض هي ويتركها وينصرف شاعراً بنار الغيرة وكأنها زوجته، ويضع لاسمها حظراً على التليفون. ويعيش لأسبوعين عذاباً حتى تحادثه «شات» معتذرة له.

وكنوع من المصالحة ترسل له صوراً لها عارية الكتفين وبملابس كاشفة. وتبدأ معه مرحلة غريبة لم تحدث له من قبل من تبادل صور وأفلام إباحية وممارسة من خلال التليفون، وتنهار كل مقاومته بعدها ويعمل ليل نهار، ليتمكن من إنهاء عش الزوجية.

يستمر في محادثاته التليفونية معها كالأزواج طول اليوم، وكأنهما يعيشان في بيت واحد إذا أحب أن يحكي مشكلة حدثها، إذا سمع نكتة وغالباً ما تكون نكتة ساقطة يرويها لها، وحوارات عن الحياة وأولاده وابنها، والذي تدخل سيف ليحل مشكلة له في الجامعة عن طريق أستاذ صديق له، وغلاء الأسعار..... إلخ حتى العلاقة الخاصة معاً على التليفون.

حتى يوم تحضر لجنة مفاجئة للتفتيش عليهم ويضطر للذهاب معهم دون الاتصال بها ويدخل مع اللجنة فجأة لمكتب المدير، وهي جالسة بجواره وتميل عليه تحادثه في أذنه، ويظهر عليه أثر المفاجأة ويصرخ فيهما، طالباً منهما احترام أنفسهما في المكتب و..... وحسن حظه يبرر الجميع تصرفه لأنه إنسان محترم ولا يقبل الانهيار الأخلاقي.

تنتهي اللجنة من التفتيش ويوقع عليها جزاءً، ويوقع هو عليه، وهو لا

بشعر برأسه ولا يده التي توقع. يعود لبيته ليخبط رأسه بالحائط المجاور للباب صارخاً أنا سيف ابن الرجل المحترم، أحب عاهرة أنا بالفعل أحبها.

يخلع ملابسه ويقف تحت الماء البارد مدة طويلة حتى يشعر ببعض الهدوء، ويخرج مبللاً، ويرقد في سريره يحادث نفسه كمن يهذي. جماها لا يساوي شيئاً أمام جمال ليلي، هي كاذبة وليلي صادقة هي عاهرة، وليلي أشرف إنسانة لكني أحبها ولا أحب ليلي، إذا أنا عاشق للعهر بلا قناع الهيبة، أنا سي السيد المهاب نهاراً تحت أقدام العاهرات مساء.

يشعر سيف بعدم القدرة على التفكير مع نفسه بعدما اكتشف حقيقته. يفتح « الماسنجر » ليحادث أحد أصدقائه لكن كيف يحكي مشكلته التي تقطع كل أقتعة الهيبة والاحترام ويعدل عن رأيه ويقلب في صفحات « الفيس بوك » يجد منشوراً لسيدة عن خيانه الرجال، ويتذكر أكثر من منشور لها يتصف بالجرأة والشدة معا ويدخل للحوار معها من خلال صفحة باسمه، دون وجود أي صور له أو لعائلته ويحدثها « شات » أي من خلال غرف الدردشة.

- سيف : السلام عليكم .

- السيده لاترد، فيكتب مرة ثانية:

- السلام عليكم، أريد محادثتك بخصوص المنشور باسمك.

- ترد عليه إيمان: عليكم السلام خير المنشور سيء؟

- مش كل الرجال خائنين ،جايز الخاين يكون مضطر .
- أعرفك بنفسى دكتور سيف .
- أنت كام سنة؟
- كثير ٣٩ .
- اتفضل احكي .
- والسن هيفرق في إيه .
- أنا بكلم شبح ، لا أعرفك ولا أعرف شكلك صفحتك مش موضحة أي حاجة ، ومش بحب أكلم حد معرفوش ، لكنك أصغر منى بكثير ، علشان كدا هسمع رأيك في البوست لكن بالفاظ مهذبة لأن موضوع الخيانة ممكن تكون ألفاظه صعبة ، لكن أنت دكتور في أي تخصص؟
- ويحكي سيف لها عن تخصصه وأنه يحتاج أن يتحدث مع أحد لا يعرفه فهو نجلان من نفسه واكتشافه لحقيقته ومشكلته مع زوجته ، ثم مع وعد وهي مشاكل لا يستطيع أن يحكيها لصديق رجل ، فن غير الممكن فضح زوجته أمام رجل ، ولا يفضح نفسه بالحي عن حبه لوعده .
- تحب تبدأ بأي مشكلة .
- وعد ، أنت تتكلمي بلغة الطبيب النفسى ليه؟
- صدقني مش قصدي ، وفي نفس الوقت عندي فضول اعرف حكايتك ، وإيه اللي تاعبك . فيه حاجة بتشدني أعرف قصتك .
- أنت كام سنة؟
- إيمان : ٥٥ .
- سيف : هتفهميني .

- إيمان: محاول.

يحكي سيف قصته مع وعد كلها واكتشافه لنفسه.

- إيمان: أنت مش متحمل مواجعتك لنفسك بحقيقتك ليه؟ حيك للجرأة والإثارة في وعد مش عيب فيك، لكن المشكلة في استمرار حيك، والخطيئة معاها وأنت بتشك في أخلاقها لازم نتأكد الأول وبعدين نقرر، تتجوزها ولا تبعد عنها.

لا يرد سيف وبعد ساعتين يرسل نداء لإيمان وبعدها بقليل ترد عليه.

- إيمان : عملت إيه؟

- سيف: اتصلت بصديق لي طلبت منه يكلم وعد «شات» ويغيرها إنه يعمل بالخليج ويبحث عن زوجة مصرية، تخيلي اتكلمت معاها بسرعة غريبة بنفس القصص اللي كانت بتحكيها لي وحواراتها عن زميلاتها وغيرهن ومديرها اللي هو أنا، إني بحبها وهي بتكرهني تخيلي ال..... تقول عني أنا إني برخم عليها لأجبرها على الزواج مني. فطلبت كلمة الدخول لموقعه وكلمتها على أي الرجل الخليجي وشوفت شتيمتها فيا بعيني وبتحكي كل الحكايات مقلوبة... هتجنن.

- مش بتفكر ترجع لمراتك.

- لا لا متفعلش هي سبب في اللي أنا فيه، من فضلك عاوز انتهي من مشكلة وعد الأول، اعمل إيه بحبها ) وبصوت أقرب للبكاء ( عاوزها مش قادر.

- بعد كل اللي عرفته!

- بحبها.

- أنا متأكدة إنها رغبة مش أكثر ، لا حب ولا غيره.

كانت إيمان تتحدث عن كون الموضوع مجرد رغبة لكنها متأكدة أنه يجبها .

- آسفة لو قلت لك ( متطلعك قرون) معقولة هتكمل مشروع جوازك.
- مستحيل لكني عاوز أنتقم منها، هلاعبها أسبوعين، وبعدها أكشف لها نفسي ، وتعرف الفرق بيني وبينها، وأعرفها مقامها بنت ال....
- غلط طول ما أنت بتلاعبها طول ما أنت تعبان، لو تسمع لي اعمل حظر لصفحتها على موقع صديقك وهترجع لك فوراً، ووقتها متردش عليها كام يوم وبعدين حظر تاني لاسمها من صفحتك، وفي الاجتماع الجاي تعاملها كأنك مش شايفها، وياريت تأحل الاجتماع لغاية ما تكون ثورتك عليها هديت. والثأر الحقيقي لو حسنت وعد إن إهمالك لها حقيقي من داخلك وغير مصطنع.
- موافق وهنفذ صديقي لكن ساعديني، أنا أفضل بعد ما اتكلمت معاكي.
- ياريت تقدر، أنا عارفة إنه صعب جدًا، لكني أظن شخصيتك قادرة على تنفيذ اتفاقنا، كافح نفسك وما تكلمهاش، اختار اللي تصونك.
- اكتشفت إنى محتاج عاهرة محترمة، عاهرة معايا أتعامل معاها بلا قناع، محترمة مع باقي الناس، مفيش اللي تحمل الصفتين.
- موجوده أكيد، بدليل إن الإسلام أمر المرأة بالتححرر بل والإثارة والرقص وخلافه لزوجها، والاحترام خارج البيت، والإسلام لا يأمر بشيء غير موجود في الحياة، وبدليل أن العهر داخلك ومع الناس أنت محترم. صح؟
- فعلاً.
- كما أنت موجود في الحياة معنا كذلك النساء.
- زوجتي كانت محترمة.، محترمة في كل شيء، محترمة زيادة عن اللزوم خارج

وداخل البيت، ووعد العكس تمامًا ، لا توجد امرأة بالصفتين معًا، أيجوز اتنين؟  
- مع الأسف أنت من الحالات القليلة التي أؤيد التعدد فيها، دا إذا رجعت  
لزوجتك أم أولادك.

- لا، مش هرجع مهما حصل.

- ولو أيجوزت عليها، متطلب الطلاق؟

- ولا حاجة متعيط شوية وتسكت، وبعدها تخضع.

- أنا أفضل إنك ترجع ليها وأتكلم معها بصراحة مطلقة في اللي نفسك فيه

وحاول طورها ، اخلع القناع وعلمها، اذا مانفعش التعليم معاه، إيجوز اللي

توافق بوجد ليلي وأولادك في حياتك. صدقني ألمها إذا اتزوجت عليها وتكون في

حياتها، أقل من ألمها إذا أيجوزت غيرها، ومرجعتهاش لعصمتك.

- المهم أخلص قلبي من وعد، أنا مريض بها هي زي السرطان.

- الحمد لله نسبة الشفاء من السرطان أصبحت ممتازة.

في اليوم التالي يستطيع سيف السيطرة على نفسه، ويحضر الاجتماع

بدون أن يتأثر بسحر وعد، قد أصبح كارها لخياتها، واستغلاها لاحتياجه

وعشقها للمال والسيطرة عليه باسم الحب، ويحدث إيمان ليحكي ما حدث

مع وعد.

- جميل إنك ملمتهاش والأجل لو ملومتهاش أبدًا ، هي هتفهم إنها مرفوضة

منك ومن صديقك، أحسن من معرفتها إنكم شخص واحد.

- إن شاء الله.

- والنفسية أخبرها إيه؟

- في الأرض طبعًا.

- مشاكلك مع مراتك كانت على إيه؟
- سلبية، صمت، برود في كل حاجة ولا أي اهتمام بيا، الأولاد وبس.
- اتعرفت عليها من النادي؟

حكي سيف قصته مع زوجته كاملة بدون ذكر فترة هولندا.

ويفاجأ سيف بسؤال إيمان عن حياته في هولندا ، ويرتبك سيف في البداية فتشعر إيمان بأنه غير راض عن حياته هناك، فتطلب منه أن يحكي قصته من مولده وحتى الآن وتطمئن أنها لا تعرفه ولا تعرف شكله لكنها تريد معرفة أسباب تعثره عاطفياً، لكنها تريد سماعها. بصوته فيستجيب سيف ويحكي قصته كاملة حتى وقت تحدته معها.

- سيف: إيه رأي الأستاذة؟

- تضحك إيمان: رأيي بصراحة إن مشكلتك ككل الشرق الأوسط، تبدأ من طريقة تربيتك وحرص الأم ودفعها لك لتلبس شخصية الأب الوقور المهاب وأنا متأكدة إنه، مرجعش مرة من السفر يومياً فاحتضن أمك وقبلها زيكم، أو إنه هزر مرة واحدة معادما قدامكم المزار العادي طبعاً وهي برضو طبعاً، بالإضافة إننا ما بتلبسش إلا جلباب البيت قدامكم وكمان إخوانك البنات الكبار مع جوازهم، كلهم شاربين النشا وقاعدين في توابيتهم. وأنت متعود على الطاعة مقتنع تماماً بأسرتك وطريقتها في التفكير ومفیش خيرات نسائية في شبابك، ومفهمتش نفسك أو مصارحتش نفسك بحقيقة إنك مختلف عنهم فأخترت مراتك بمواصفاتهم، وبعد الجواز بدأت تفهم طبيعتك واللي محتاجه، لكنك خفت تقلع القناع وتعلم مراتك وتفهمها، كل الرجال بيحسبوا إنهم فاهمين كل حاجة وهم مش فاهمين زوجاتهم، ولا حتى نفسهم ولا اللي عاوزينه وحتى لو

فهموا سيكون الفهم متأخر، ومش يعترفوا بيه خايفين من ضياع الهية أو إن يعيب المجتمع أو الزوجة ) اللي لابسة قناع ايضاً عليهم اللي طالبوا به والحقيقة إن اللي بيعيبوا عليهم هم كمان بيعانوا فيا إما يقعوا في المعصية والكبائر، ويخلعوا القناع مع الساقطات أو يكتبوا رغباتهم ويعرضوا نفسياً وبدنياً.

### وتكمل إيمان بينما سيف صامت تماماً

- ما تحقرش نفسك لإنك عشقت عاهرة، أنت مخطئ طبعاً استغفر الله كثيراً، وارجع لنقطة البداية وعدّل مسارك مع ما تهواه نفسك طبقاً لشرع الله تجاوز المحترمة اللي بيان عليها الظرف والشقاوة اللطيفة وبتهزز مع أحوالها. أو صاحبته، صاحبة الرأي والشخصية القوية، المشكلة إن الرجاله بيخافوا البنت القوية بيتجنّبوا الجواز من الضحوة، وبالتالي نربي بناتنا داخل نفس التواييت التي بنعيش فيها وبيشهد ليهم الكل بحسن الخلق ويطلبهم عريس زيك، والمشكلة الأكبر لو تفاعلت الزوجة مع زوجها من بداية الزواج، فوراً يشك الراجل المصري فيها والعكس زي ما حصل معاك، مجتمع مفاهيمه خاطئة غبية حتى إننا مش بنتبع تعاليم الدين اللي مغفلش عن أي حاجة ولا حتى العلاقات الخاصة الزوجية. لو أبوك بيهزز مع أمك أو يحضنها في مرضها أو حزنها قدامكم، كنت عرفت إزاي تختار وكنت عرفت إن صمتها الشديد وعدم اعتراضها على أي قرار ليك مش طبيعي، واخترت من تحصنك وتعفك، كنت هتبقى سعيد ومرتاح نفسياً ومش تغلط وتطبق القانون الهولندي في المكتب والعربية بدليل رفضك لعلاقه كاملة، والرفض دا وإن كان علشان تريح ضميرك بأنك بعيد عن الزنا إنما يؤكد وجود درجة من خشية الله رغم إنه درجة من درجات الزنا والرفض ما

هو إلا لعبة من نفسك لتقنعها إنك مش بتزني. هناك خلعت القناع اللي لبسوه أهلك ليك وصقف ليك المجتمع عليه ولما رجعت كنت اتعودت إنك مش لابسه طول الوقت زي ما كنت قبل السفر، فلجأت لنوع تاني أو درجة تانية في طريق الزنا في الخفاء، ومرة تانية تلعب نفسك عليك وعاوز تتجوز واحدة مترضاش عن سلوكها علشان ترضي شهوتك اللي اعتادت التفاعل من الطرف الآخر في هولندا، ووقعت في الخطأ لمحاولة إرضاء كل الأطراف، يعني زواج على سنة الله ورسوله علشان ترضي ربك وبجتمعتك وقناعك اللي لابسه وعاهرة ترضي نفسك، غمضت عينيك عن مظهرها وودانك عن كذبها ومرضت لانكشاف حقيقتها وحقيقة مشاعرك ونفسك متدترتش تلعب عليك مرة تالثة. الخلاصة إنك لازم تعترف بحقيقة نفسك وهي حقيقة متعييكش، أنت إنسان مختلف عن اللي حولك، ومتسمحش بترية أولادك بنفس الطريقة لأن أهمهم بترييهم من داخل تابوها لازم أولادك يتعودوا على رؤية أهمهم بقمصان نوم ملونة زاهية جميلة ومقصدش بيها (بيبي دول) أو عارية إنما مكشوفة بقدر مناسب فهي أهمهم، وهيعملوا اللي يبشوفوه منكم لازم حوارات ضاحكة بينك وبين أهمهم قدامهم.

- سيف: عاوز نصيحة واقعية.

- إيمان: قلت لك رجع مراتك.

- سيف: بعد تفكير طويل امبارح اتصلت بها. تخيلي إنما رحبت باتصالي جدًا، وما زالت زي ما هي طيبة حنونة مشوفتش إنسانة في تسامحها أو أخلاقها واحترامها

- إيمان: وأم عظيمة، باقي الزوجة اللي على مزاحك لو تقدر تحولها لصديقة زوجة أو زوجة صديقة يا سلام هتبقى أسعد إنسان ، وجهها لطيفة علاقات زوجية.

- سيف؛ لا محصلش في عيلتنا حاجة زي كدا.
- إيمان: تاني نمشي على مسار عائلاتنا رغم تأكدنا بفشل مساراتهم، تاني.
- سيف: صدقيني هي مش هتوافق أبدا وتعيط وتعتبرها إهانة.
- إيمان: هات ليها كتب علمية خاصة بموضوعنا
- يضحك سيف: أنا لا أحرز أساساً، كتب وأفلام، ليلي مراتي مش صاحبي!
- إيمان: ااه هنا غلظك الكبير، أولاً كنت بتكلم عن كتب علمية لا عن مجلات أو أفلام إباحية وإن كنت قبلت إنك تفرج مع وعد إنما مع مراتك لأ...بييااه.... على أفكارك متخلفة وإن كنت أرى حرمة الأفلام والمجلات لكنها متقلش حرمة عن اللي عملته في هولاندا أو مع وعد لكن الفرق إنها هتحافظ على البيت من الخراب وتشتت أولادكم، لو اعتبرت مراتك صاحبتك إيه إيه اللي هيحصل! وتكمل إيمان: ولازم تعترف إنك ساهمت في تكلمة صمتها وقلة تفاعلها، أنت لابس القناع معاها، وبتعاملها من داخل نفس التابوت اللي بتشكي منه وتخلع القناع مع صاحبتك مع ان الدين خلل خلعه مع الزوجه وحرم خلعه مع صاحبتك، (شيزوفرينيا) بيعاني منها الشرق كله الخوف المجتمع، أكثر من الخوف من الله - عز وجل -، فكر كويس لو كنت اشترت ليها الكتب من زمان كنت عشت حياة أحلى، لو كنت خلعت قناعك معاها، مكتش عمرك اشتكيت، أنت كمان غلطان أكثر لإنك تعرف وهي متعرفش.
- اطلب مقابلة مراتك وكلهما بصراحة متناهية، كأنك بتكلم وعد أو أي صديقة هولندية وهتشوف الفرق.

- سيف: أوعدك. هنفذ ولو منفعش؟
- إيمان: هات الكتب ولما تنتهي حيلك من غير فائدة، أتجوز أفضل من

الغلط بشرط متطلقهاش إلا إذا طلبت وأصرت.

- سيف: اتفقنا.

يطلب سيف مقابلة ليلي للاتفاق على العودة فتستجيب فوراً بلا سؤال والدها أو تردد، وتخبره وصوتها يخبر بفرحة أذهلت سيف أنها ما زالت تحبه وتمنى العودة والحياة معه.

يظل سيف مذهولاً حتى وهو يحكي لإيمان من كلامها وفرحتها، فرحاً لفرح أطفاله وصراخهم من فرط المفاجأة لعودة أمهم. وتدمع عينا سيف وهو يخبرها أنه لم يكن يتصور أن أطفاله فرحين برجوع أمهم لهذه الدرجة. في الموعد المحدد يشتري سيف باقة ورد كبيرة جميلة ويخفيها في السيارة ويشتري دبلة جديدة وهدية قيمة، ويقدمها لها وتكون فرحتها أكثر مما كان سيف يتوقع، وكذلك الأولاد.

يتحدث معها كما وعد إيمان وعندما يطالبها بالتغيير في ملابسها يفاجأ سيف أنها لم تكن تشتري ملابس حتى توفر له المال اللازم لتحقيق حلم الدكتوراة، ثم اعتادت ملابسها كعادة الكثير من المصريات، يوفرن المال لأولادهن وأزواجهن ناسيات أنفسهن ويعود ذلك بانحراب عليهن.

والأغرب موافقة الأب بلا شروط لتأمين ابنته من الطلاق كما حدث من قبل، والأكثر دعوة العائلة للعشاء في حفل بسيط فرحاً بالعودة في اليوم التالي مباشرة، وتستأذنين ليلي وتركهن لتجهيز حقائبها لا تنتظر لليوم التالي.

- إيمان: حظك نار عيلة أصيلة غريبة على وقتنا الحاضر.

- سيف: كنت راجل حقاني وعطيتها حقوقها كاملة ومضايقتهاش في أي حاجة ولا رفضت طلب لأولادي طول مدة الطلاق.  
 - يكفي التلكيك الواضح للطلاق مبرر ليؤدبك بيه، عمومًا ألف مبروك، ومتنساش هدية جميلة ليها.  
 - يضحك سيف: اشتريتلها قمصان نوم جميلة .  
**تضحك إيمان:**

- قمصان النوم هديتك لنفسك، أنا بطالب بهدية ليها، كرمها كما يجب وتداوي جرحها قدام نفسها وعيلتها.  
 يتصل سيف بإيمان بعد كتب الكآب ليطمئنها، وتسألها عن ليلي ليلينها بعدم رضا أنها بالداخل مع أمها لا يعرف ماذا تفعل.  
 - متغضبش وكمل الخطة ألف مبروك، وشوف ولادك وفرحتهم هتنسى غضبك.

يمر أسبوع ويتصل إيمان للإطمئنان، يرد سيف وسط أصوات لعب الأطفال، رغم أنها حادثت سيفًا كثيرًا أثناء وجودهم إلا أن أصواتهم كانت خفيفة، تختلف تمامًا عما تسمعه الآن من أصوات عادية لأطفال يلعبون ويتادون أهم لتحضير الغذاء.

- إ ما شاء الله الولاد صوتهم واضح.  
 - فعلاً مكنتش أتصور إن بُعدى عن أهمم مأثر فيهم، ورغم إن مكنتش في مشاكل بينا، أختلفوا كثير بعد رجعت امهم.  
 - وأم الولاد .

- أم الولاد أختلفت شوية واهتمت بيا لتلات أيام، وبعدها رجعت للي كانت عليه، الاهتمام بالأطفال بس.

- استمر بس وهنتجح.

- المشكلة اكتشافي إني مقدرش أتجوز واحدة تانية غير مراقي، الولاد هيحزنوا تاني.

- استمر وهنشوف وإن متغيرتش بعد فترة كافية، أتجوز إن مقدرتش على الاكتفاء بيها، المهم متغلطش تاني.

يمر أسبوعان ويتصل سيف لإخبار إيمان بنجاح مشروعه الذي بدأه ليشتري شقة وعد ، وأنه لم ينجح إلا هذه الأيام وكيف أنه مشغول جداً وقد شاهد وعد في زيارة مكتبها الشهري ولم يحدث له أي تأثير ولا حتى الكراهية، لم يشعر بأي شيء بعد أن كانت تقلب كياته كله.

- ومشاعر سيف تجاه ليلي.

- انسي، أنا بعزها وأودها وكفاية إنهما أم أولادي المحترمة. أما مشاعري هوتمها وأرتاح من معاناتي، أنا عندي طاقة حب ومشاعر رهيبة ومش لاقى ليها مكان والحل إني أقتلها وأولادي يبقوا في حضن أمهم.

- خايفة مقدرش تستمر.

- ربنا يستر ، ما انتبهتش لنفسي وفرحت جداً بالضحك مع زميلة انصاردا ، هي أنسة جميلة ولسه متجوزتش.

- احذر الخطأ وانتبه متكسرش قلبها، إذا حبتك هيكون خطأ مزدوج وعذاب ضمير.

- محط دماغي في الشغل.

- اشترى ليها قميص نوم جديد.
- أنا اشترت فعلاً.
- اشترى تاني ، فكرها باتفاقكم.
- بعد عشرة أيام تتصل إيمان ليصلها صوت سيف فرحاً سعيداً يبشرها بنجاح كبير لمشروعه، والأهم مفاجأة كبيرة.
- فرحني بالمفاجأة.
- أخيراً اعترضت ليلى على أجزاء في المشروع. أول مرة تعترض على قرار والأكثر إنما اقترحت أفكار مش قادر أصدق لحد دلوقتي، ليلى تقترح علشان تنجح المشروع، وابني حاسس إنه راجل واقف جنبي مش طفل.
- أروع من رائع، صوتك واضح؟ اشرحلى.
- بصراحة أعتبرها صديقة حكيت معاها عن المشروع كله بتفاصيله ، وكتبت لها ورقة بالمدفوع والمقبوض علشان تكمل مشروع أولادي إذا حصلني مكروه، فتجاوبت معايا واتحملت المسؤولية معايا، وبقت تتابع المشروع معايا يوم بيوم وبقت ألطف من قبل.
- والمشاعر؟
- معرفش دلوقتي، بس حاسس إني بيجها بالفعل وبجب الكلام معاها
- وبجب أرجع للبيت علشان أحكي أحداث اليوم.**
- استمر وان شاء الله هتحقق اللي نفسك فيه من حب ومشاعر.
- يارب يستمروا ادعوا لهم.

تمت

obeikandi.com

## سور الغباء العقيم

هاي... أنا حواء.....اسمي حواء

بعتبر حالتي مثال لكثير من بنات أمنا حواء.

عمري خمسة وتلاتين سنة، أم لولد في أولى ابتدائي و بنت في تمهيدي

جوزى راجل ممل.... آه والله ملل.....هو دكتور شاطر....يا سلام

على خلقه وتعامله في العيادة مع المرضى..بلسم... كل الناس يتخلف بحياته

ومع أهله...الله على الحنية والاهتمام

بصراحة هو كان كويس معايا قوي لغاية ما حملت في ابني، والغريب إن أهله اتضايقوا قوي لما عرفوا بالحمل ( كان عندهم أمل إننا نتطلق ) ومن هنا بدأت المشاكل وراحت الحنية وضاع الحب وضاع.

بدأ جوزي بناء سور غباؤه العظيم بالتدريج، أظن إنه اعتمد على إنه ضمن وجودي في حياته خلاص، ومش هقدر اعترض بعد ما بقيت حامل. يعني بيشتغل في المستشفى الصبح، ويرجع أفتح الباب الأقية مكشر تكشيرة أبو لهب في فيلم فجر الإسلام ليه بقى مكشر؟ الإجابة أي سبب اتخاقت مع المدير، الدنيا حر، زهقان، متخاقت مع أهله، أي سبب، يتغدى وهو ساكت وينام، يصحى مكشر برضو ويلبس وينزل العيادة، ويرجع من العيادة مكشر أكثر وعصبي ويتخاقت مع أي حد حتى الأولاد.. آه والله.. بيتخاقت مع الولاد على أتمه الأمور، وكأنهم رجاله كبار يحمدفهم باللي تطوله إيدته، ولو حيننا نتكلم معاه في أي موضوع الصبح، يتضايق بتكلموني على الصبح ليه؟ لما آجى الضهر. ولما يجي الضهر يتضايق عكنتوا عليا أنام إزاي دلوقتي حرام عليكم، عندي شغل أكل عيش وأرواح ناس. وبالليل بتكلموني بالليل عشان أنام وتيجلي جلطة ويبدأ في الصراخ، ويوصل الموضوع للطم على وشه أو شق هدومه زي ما بتعمل أمه، لمجرد النقاش معاه في أي موضوع. طبعا مش مصدقين؟ مسيركم تصدقوني

لكن لو أهله اتصلوا الفجر صحونا من النوم، اتخاقتوا معانا عادي حتى لو إخوانه الصغيرين ممكن يعكنتوا علينا وهو مينطقش بكلمة.

نكل حكايتنا..

إذا تكرم وخرج معانا في العيد أو بعد إلحاح شهر من الولاد، يقعد معانا وعينيه الناحية الثانية وكأنه مش عاوز يشوفنا، ولو سألته مالك الإجابة ملان زهقان متضايق... أسأله ليه؟ الإجابة من كل حاجة، أسأله ثاني إيه بالظبط احكي يمكن نقدر نحلها مع بعض... يحكي نفس المشاكل واللي سببها أهله وطاعته العمياء ليهم واستنزاف فلوسه وهو عارف ومش بيرفض ، يعني مشاكله من نفسه وعدم قدرته على اتخاذ قرار وتنفيذه.

- أنا : أنت مسؤول عن أبوك وأمك بس -ورغم إن أبوه عنده معاش- لكن

عادي واجب عليك.

لكن الصيف كله إخوانه البنات وعيالهم كل مصاريفهم كل وشرب وعلاج لو احتاج الأمر، وكسوة الصيف والشتا والمدرسة وهما راجعين بلدهم، بالإضافة للفسح والمصيف وعزومات للأهل على حسابه ، وواجب عليه حج أو عمرة كل سنة وأحيانا حج وعمرة في نفس السنة للأب والأم، ويرجعوا محملين بالهدايا والذهب السعودي لبناتهم وبنات بناتهم ويشترؤا النحلة اللي بتلف لابني واتنين كيلو تفاح لينا، تخيلوا مرة استغفاني وأخذ مني غوايش بأعهم على إنه يدفع مقدم شالية، ويتضح إنه دفعها لعمرة جديدة لأمه، رغم إنها عملت أربع خمس عمرات وحج.

وتحول الخروج لمنذبة والمطلوب أندب معاه، وبعدين نسكت إنما رأي مخالف أو حتى اقتراح حل، يزق وسط الناس ويفرجهم علينا.

ويجري ويسبينا أنا والولاد، ومينساش رزع الباب لو كنا في مكان مقفول، ولما يروق بعد يوم أو اتنين ممكن أسبوع، يرجع يتكلم من غير مصالحة أو حتى اعتذار والمطلوب نسامحه ومنوع تلومه، وإلا تبقى خناقة

تانية أكبر وبصوت أعلى. وأكون أنا التكدية الشريرة اللي ممررة عيشته ومش عاوزاه يصرف على أهله مع إن مصاريهم قليلة !!

والنتيجة مسألوش عن اللي بيه، وأسيبه لتكشيرته يكلم نفسه... بيكلم نفسه بجد مش ببالغ، أما لو حاولت أتكلم في أي موضوع أو أحكي قصة قريتها ميردش عليا، ولما أسأله مبتردش ليه؟ تخيلوا ميردش برضو، ولو رد أسوأ فيا إما يسفه كلامي أو دمي تقيل أو مملدة... المهم يحرق دمي وخلاص.

ومن الطبيعي إني أوصل للخرس الزوجي واكتئاب بعد ما كنت بحب الضحك، بقيت ساكتة، بضحك بصعوبة، ولا بحب أكون موجودة معاه في مكان واحد.

لإينه ببساطة ممكن يسفه كلامي قدام الناس أو يكذبني في موضوع هو ميعرفش أساساً، حتى ويخني مرة وأنا بتكلم واتهمني بالهزار في موضوع مينفعش الهزار فيه، وبعد ما كان الكل بيضحك توقفت الابتسامة على شفاههم وانسحبوا من الخجل واحد ورا الثاني.

- سألته ليه؟

- ليحبيني: دمك تقيل وهم كانوا متضايقين منك.

- أنا: كانوا بيضحكوا يبقى دمي تقيل!؟

- البيه: بينافقوكي.

- أنا: ينافقوني وهما أصحابك أنت، وحتى لو نفاق هيتسموا مش هيضحكوا.

سألت صديقاتي وأعدت الحوارات مع نفسي والنتيجة: لأ دمي مش تقيل، بالعكس ناس كثير يقولوا إنهم يحبوا الكلام معايا. راقبت الجالسين معنا بدقة إذا كان ضحكهم نفاق النتيجة. لا

طبعاً متقولوا: هو ليه بيعمل كدا معاكي؟ جايز أنت مضايقه في حاجة؟  
أجاوبكم إني سألت نفسي السؤال دا مية مرة ملقيتش حاجة ،

- فسألته :ليه؟

- البيه: كلامك دمه ثقيل وبتهزري وأنا متضايق.

- أنا: أنا بهزر بمحاول أضحكك وأخفف عنك، دا غير إنك متضايق على

طول، كدا هموت حرام أنا ذنبي إيه؟

- البيه: أنا مهموم أنا بيتي هيتخرب من مصاريفهم وخناقاتهم.

- أنا : بيتك هيتخرب من مصاريفهم هما، أنا ذنبي إيه؟ قتلتي مية مرة

هعترض على المصاريف، ولا بتعمل أي حاجة وخنقاتهم هما أنا مالي، وفي الآخر

بتهزر معاهم وتعاملهم حلو.

- يصرخ البيه: إيبسه أهلي عاوزاني أعاملهم وحش ليه؟ ومهما حصل الرسول

عليه الصلاة والسلام قال: «أنت ومالك لأبيك» ، وخنقاتهم معايا بسبيك.

- أنا : أنت ومالك لأبيك مش لإخواتك واجوازهم وولادهم، وأنا مقلتش

متصرفش أنت اللي بتشتكي، والخنقات بسبي ليه؟! أنت عارف إني مش

بعملهم حاجة، هم مش بيحبوني أنا وولادي، وأنت اللي قتلتي علشان فلوسك

كلها كانت ليهم ، أنا مالي؟

وعنها راح قال لأهله إني بقوله متصرفش عليهم، ورجع قالي على الشئمة

اللي شتموها فيا!! واتضايق مني لما رفضت عزومة على الغداء عندهم، بدمتمكم

أروح إزاي وهم بيشتمونني؟ وهو اللي قال وساعات أسمعهم بوداني!!

كنت بقرأ عن أزواج بيعتبروا زوجاتهم ملكهم زي أي كرسي في

البيت، وكنت بتعجب وبعدها أكتشفت إني بقيت كرسي ويمكن أقل

بس كرسي دمه ثقيل. وانتهى احتمالي بعد تربيقته عليا قدام صحابه علي إني تحنت بعد الولادة، مع إنه أثنخ مني وليه كرش أكبر مني، وممكن أرد عليه وأكسفه وهو لا حمل ولا ولادة قيصرى، لكنى مبعبش الطريقة دي، المعايرة قدام الناس ويعتبره شغل حوارى وعابته كثير؛ لإني بتكسف. يزعل ويزعق إنه ميقصدش واني ببحب النكد... ماشي لكن من فضلك متتكلمش كدا تاني..... ولا كأني قلت حاجة وقال تاني وتالت وعاشر وكل مرة ميقصدش ويزعل.....خدوا بالكوا هو اللي ييزعل ويخناق.

خلاص بقى عاوزة أربي العيال، وأديني عايشة وخلاص، ركنت جوزي على جنب مبتكلمش معاه واحنا لوحدا وبمحرص إني ما اتكلمش خالص لو قاعدين مع ناس، وبدأت أحاول صنع مجتمع مع بعض الصديقات بعيد عنه. نفسح ولادنا ونخرج وكان بدأنا نلعب رياضة مع بعض؛ لأن ما شاء الله أزواجهم زي البيه جوزي باختلافات بسيطة. وبقي بينا سور بيعلى كل يوم عن اللي قبله أنا والولاد في جهة وهو في الجهة الثانية، منطلبش منه الخروج معانا أو يصيف معانا. العكس بنفرح في عدم وجوده؛ لأننا ببساطة بنكون في أمان من ثوراته المفاجئة ومنعرفش لها سبب أو هتقوم أمتى؟! وبقينا مش بنطلب منه غير الفلوس بس.

ونتيجة طبيعية للرياضة ومن الهم وسدة النفس، خسيت ورجعت تاني رشيقة زي ما كنت. وبعدها اتغير جوزي وبقي يسأل رايمين فين؟ ومع مين؟ ويجيلنا فجأة، وكان بقى يحاول يتكلم معايا وأنا نسيت الكلام معاه.

ووسط ما يحاول أرجع تاني أتكلم معاه إن ضايقتني واحدة من معارفه

بقلة ذوق وتجاهل، ولما حكيتله اتهمني إني غيرانة منها.....أنا..أنا  
غيرانة وليه أغير؟! أنا واثقة في نفسي ومفيش مجال بيني وبينها للغيرة.

وفي نفس الأسبوع غازلني واحد من أصحابه غزل واضح...بهدلته طبعاً  
ولما بلغت زوجي العزيز.....حذروا قال إيه؟ قال: إني فاكرة نفسك إيه  
ملكة جمال...إنتي ولا حاجة..هيعاكسك ليه؟ وبدأ يشتم..... أيوه.....  
شتمني بالأب والأم..... أنا أنشتمت يا جدعان، حواء بتشتم.

وسور غباؤه علي قوي وكل ما الغباء يزيد السور يعلى أكثر وأكتشف إن  
جوزي حبيبي بيشتكى مني للرايح والجاي، إني مش كويسة ونكدية وإنه  
مش طايقني وإن..... وإن.....أنهت طبعاً وطلبت الطلاق ورفض.....  
رجعت بيت أهلي بولادي، لغاية ما يتم الطلاق؛ لأن السور اللي اتبنى بغبائه  
بقى عالي قوي قوي، منع عني الشمس والهوا.

يومين لقيت صاحبتى بتتصل وتقولي إن صاحب جوزي حبيبي يجيب  
في سيرتي وهي ردت عليه وبهدلته، وهي مش عارفة هو بيقول كدا ليه؟!!

طبعاً أنا عرفت كلامه منين وليه؟ قررت بالتعاون مع إبليس، إني  
اتصل بالدكتور المؤدب اللي اتطوع ويتكلم عني بدل جوزي.....أيوه فيه  
ناس تحب تعمل خيبير. نسيت أقول: الدكتور دا حافظ قرآن، ومنقب  
مراته، وعامل فيها شيخ.

## اتصلت بالشيخ آسفة قصدي الدكتور:

- ألو ازيك يا دكتور.
- الدكتور ولا كأنه قال حاجة في غيابي : أهلاً أهلاً، إزيك يا مدام؟
- أنا : الحمد لله ، دكتور سمعت إنك بتتكلم في حقي، وأنا متصلة أقول لك حسبي الله ونعم الوكيل ، بتجيب سريري مع الناس ليه ؟
- الدكتور : يا رب يكرمك ، بلاش حسبنه ، أنا آسف بس بلاش حسبنه جوزك بيشتكي جامد ، يعني هيكذب؟
- أنا: آه يكذب ميكذبش ليه نبي؟
- الدكتور: معرفش.
- أنا : ولما متعرفش بتتكلم ليه، مش حرام؟
- الدكتور: آسف ،سامحيني، أعمل إيه تسامحيني بيه؟
- أنا: أسامحك؟ أبداً.... إلا إذا ..يعني لو تقدر تقنعه بالطلاق.
- الدكتور : لا طلاق لا، أدخل في الصلح.
- أنا: مفيش صلح أنا متطلق ، بدل المحاكم كلمه أنت.
- الدكتور بجبث: إن كنت مصرة خلاص أكلمه ، لكن مش هنشوفك وحشتينا.
- اااااه إيه يابت يا حواء (وحشتينا دي)؟ حسيت بحاجة غلط في كلامه، لكن مرضيتش أزعل إبليس، ممكن يكتب فيها، إذا مكملتش الخطه ، قلت أكمل الخطه.
- أنا( بدلع) : ميرسي يا دكتورنا، طبعا هتشوفي ومعايا هدية كبيرة لو افقته.
- الدكتور: لا هدية إيه ، هديتي إنك تنوريني في العيادة أظمن عليك.

- أنا : اتفقنا منتظرة ردك .

تاني يوم عرفت من سكرتيرة البيه جوزي، إن الدكتور زاره حسب الاتفاق. وإبليس فرح قوي قوي لما جوزي كان هيضربه، وطرده من العيادة قدام الناس واتهمه إنه..... و..... شتيمة وحشة مقدرش أقولها وأنا كان فرحت قوي واتصلت بالدكتور:

- آلو .

- الدكتور: أهلاً يا مدام ، الله يكون في عونك ، فعلاً تعرف فلان اه، عاشرته لأ، تبقى متعرفوش ، جوزك دا فظيع ، دا بهدلني وطردي تخيلي، طردني وفرج المرضى عليا.

- أنا: آسفة يا دكتور على اللي حصل صدقتني، أنا مظلومة.

- الدكتور: آه والله ، فعلاً ، ويهون الطرد عشان خاطرک، عاوز أشوفك نتفق هتعملي إيه، هتيجي أمتي؟

- أنا: ههههههاي يا دكتور عليك واحد ، يارب تكون اتعلمت الدرس زى ما معلم كل اللي بيجيبوا في سيرة خلق الله ، وأعملكم صف وأنت الأول.  
- أقف في الصف يا دكتور!!!

وقفلت السكة، برافو عليا صح، بعدها تم الطلاق بخلع الضرس وعلى الإبراء والتنازل ، مش مهم أي حاجة المهم إني متجننش .

طبعاً مرمطة وقلة أدب وكلام ، كلام كتير وأنا ولا هنا، واللي يتكلم عني أويضايقني، أتبع معاه نظرية سيخ الكباب (دي نظرية من اختراعي) إني أشوي اللي يضايقني في السيخ على الفحم ولو مقدرش أسويه ، يبقى مضطرة إني أدعي عليه ودي أسوأ من الشوي.



## ثورة عبدة

بفتح الدال

في زمن ما قبل الموبايل وأغاني المهرجانات والقنوات الفضائية ، كانت طفولة مي مختلفة تماماً عن طفولة الفيس بوك والإنترنت.

كان الأطفال يطيعون وينفذون أوامر الأهل، ولا يسمح لهم بالاعتراض، وكبقية الأطفال نشأت مي مطيعه ذكية متفوقه جميلة.

ونتيجه لاعتناء الاب والأم بالمذاكرة والحفظ استطاعت مي قراءة الجرائد اليومية بلغة سليمة في الصف الثاني الابتدائي وكانت المدرسة تسند لها القراءة والتقديم في الإذاعة المدرسية وكانت الحياة بالنسبة لمي بيت الأب وبيت الجددة والمدرسة والخروج للتمشية قليلاً في الإجازات، وبرامج الأطفال في التلفزيون الذي يبث إرساله من الخامسة مساءً للعاشرة، ولا يمتد للثانية عشر إلا في الأعياد وأكثر من ذلك ليلة شم النسيم؛ ليذيع حفلة

العندليب عبد الحليم حافظ.

لكن ما كان يخلق المشاكل ويضايق الأم جداً والأب قليلاً أن مي (غلباوية ولمضة) تعترض وتناقش وتدخل في مناقشات الكبار مبدياً رأياً وسط الكبار.

الوحيد الذي كان يفرح بمناقشاتها ويشجعها لإبداء رأيها هو خالها الطالب في كلية الهندسة وإن كان الأب قد اهتم بالدراسة وقراءة الجرائد والمجلات الجادة كروز اليوسف وآخر ساعة، واهتمت الأم بمجلات سمير وميكي وبعدها قصص المكتبة الخضراء، والمغامرون الخمسة والشياطين الـ ١٣ وبعدها رجل المستحيل، اهتم الخال بتعليمها الشطرنج والرسم وحب الرياضيات ومشاهدة الأفلام الأجنبية.

وسكوت الأب على مفضض لتعليم الخال لمي أموراً لا لزوم لها، وخصوصاً الأفلام الأجنبية. أما الخالة فقد علمتها الصلاة والمواظبة عليها وخشية الله، حتى في أبسط الأمور وبأسلوب لين جميل لا شدة فيه.

ومع وصول مي للعاشرة من عمرها ومع طول قامتها لدرجة أن من يراها يحسبها في الرابعة عشر، تشدد معاملة الأب والأم وكأن الخنان لمن هم أقصر منها ويزداد الأمر بعد ظهور ملامح الأنوثة المبكرة عليها، وكان الأب أصيب بصدمة من تغيرها المفاجئ ويعلن الأحكام بتغيير ملبسها من ملابس طفولية للملابس طويلة عن المعتاد وموديلات يلبسها من هن أكبر منها بسنوات وطبعاً، منع لبس البنطلونات نهائياً لتشعر مي عند نظرها للهرآه وكأنها مسخ رأس طفلة على جسم وملابس امرأة.

ومُنعت من ركوب المراجيح والتي كانت وسيلة الترفيه الوحيدة للأطفال وقتها، والغضب منها إذا لعبت بالعراس كإختوتها ، وتكشيرة الأب وشدته في التعامل معها والرد عليها بغلظة لاعتراضها على الملابس التي لا ترتديها من هن في سنها. ووصف الأب لها بأنها مختلفة عن مثيلاتها فهي «عجالة» - أي جاموسة صغيرة- بلا أدنى اهتمام من الأب بنفسيتها أو ما تعانيه من في ظروفها، وعدم تقبلها لشكلها أو تغيراتها المفاجئة لها ، ولم تستطع مي تفسير تعامل الأب بهذه الطريقة إلا أنه لا يحبها كباقي إختوتها، ولتبعه الأم في منهجه بتحميل مي المسؤولية من أعمال المنزل أو رعاية إختوتها الذين يضحكون من تريقة الأب عليها أو خناق الأم لها وبالتالي فهي مسؤولة عنهم بلا أمر من الأبوين بتنفيذ أوامرهما، ويخرج الأب والأم للعمل وتبقى مي مع إختوتها الصغار وحناقات يومية مع الأم إذا لم تنفذ العمل المطلوب أو إذا قست على إختوتها إذا لم يسمعوا كلامها وأرادوا النزول لشراء حلوى أو خلافه مخالفين أوامر الأب فإذا تركتهم عوقبت لأنها المسؤولة وإذا منعهم عابروها كما يعايرها الأب بطولها فتعاقبهم وهكذا حياة قاسية مع أبوين لا معنى عندهم لنفسية طفلة في حجم امرأة.

وينشئ الأبوان جبهتين جبهة للأبوين والأخوات، وجبهة لمي تجلس فيها وحيدة باكية دائماً منطوية بعيدة عن حضن الأبوين؛ فالأحضان للصغار فقط وهي كبيرة ، ولا تناقش فالنقاش للجار فقط وهي صغيرة.

وتصاب مي باضطرابات النوم والمعدة كأمر طبيعي لمن في ظروفها. وتحتال طوال تلك المدة على آلامها وحزنها بالقراءة.

كانت مي لا تحب الحديث مع الأب إلا في الآراء السياسية والنقد للأحوال المجتمعية ، مستمتعة بحواره عن التاريخ وآرائه التي لا تخطئ في الأمور المحيطة، فما يتوقعه اليوم تقرأه في اليوم التالي في الجرائد ، بالإضافة لجلسات الصلح والتي يأخذ الجميع فيها برأي الأب، واحترام كل المحيطين له ولآرائه ولشخصه الوقور.

وكان الأب يحب العزلة وعدم الاختلاط. لا يزور أحد وبالتالي بدأ المعارف والجيران لا يزورونهم ، لا في أعياد ولا زيارة مريض ولا غيره. وأصبحت مي لا تتعامل مع أحد خارج إطار الأسرة. أما انخالات والأعمام كل سنة في إجازة قصيرة، فلم تكتسب الحكمة في التعامل مع المجتمع وخبرتها بنفوس البشر صفر.

ونتيجة لعدم وجود مشاعر ود أو حب بين الأب والأم عكس ما تقرأه بالقصص ، اعتبرت مي أن الأب والأم هم الواقع وأن الزواج ما هو إلا جفاف وقسوة وملل وما القصص إلا خيالات المؤلف أو الكاتب.

عزمت مي على ألا تكرر حياة والديها، مقررة ألا تتزوج من يزيد حياتها جفافاً ، وفي نفس الوقت لا تجرؤ على الحلم بالحب فهو غير موجود في دنياها وإن وجد فهو لغيرها ، أما هي فلن يحبها أحد لأنها غير محبوبة، فالاب كلما يقوى ظهر ابنته من الممكن أن يكسرها دون أن يدري، فكثيراً ما ردد الأب على مسامعها ألا تصدق أحداً في كلمة حب ولم يحبها؟! وهناك الأفضل والأجمل منها دائماً، إنما هو إما طامع في مال الأب أو طامع في علاقة آئمة، وتوافقه الأم على كلامه مؤكدة بحكايات ودلائل ، كل هذا

يجمع في كلمة واحدة هي انخوف،

خوف لدرجة الهلع من ذئاب البشر على مي جعلها تفقد الشعور بنفسها  
كفتاة جميلة مرغوب فيها ، ضيعة ثقفتها في جمالها وجاذبيتها في حين قوا ثقفتها  
في عقلها وثقافتها.

مرت سنوات الدراسة حتى وصلت مي للجامعة، والأب والأم يلبيان  
طلبات مي وإخوتها المادية كطعام أو دراسة وملابس - تبعا لرؤية وذوق  
الأب والأم- وبلا إيه مساندة نفسية أو مراعاة لتغير هرموني.

فوجئت مي أول يوم في دار الطالبات، بيبكاء معظم الزميلات لفراق  
أهلهن، ومن لا تبكي صامته حزينة، إلا هي فرحة مستبشرة بحياة هادئة  
بعيداً عن مشكلات الأب والأم وخطوة لبناء شخصية أقوى معتمدة على  
نفسها، وانخروج من قوقعة الأب والحياة بلا صداقات أو بشر يزيلون  
إحساسها بالوحدة، ستعيش وتصنع سعادتها إن لم تجدها، وإن كانت  
سعادة مي على قدر فكرها الطفولي المتأخر في التقلبات التعاملات كان في  
التجول في الشوارع مع الصديقات وشراء الملابس التي تحبها وتفتتح بها  
والضحك والسهر في البلكونة ولعب الكوتشينة وحكاوي الزميلات الجدد،  
هذا ما كانت تحلم به عكس بنات كثيرات يحملن بالحلم من زميل أو  
خطبة أو .....

كانت مي دائماً تشعر أن داخلها مي أخرى أكثر قوة وحزم بل وقسوة  
أحيانا ، ولم تدرك مي الطيبة أن مي الأخرى ما هي إلا عقلها الباطن ولا  
تدري مدى تحكمه وسيطرته على قراراتها القوية الصارمة بعد طول صبر

وتأتي منها.

كانت إذا حدث لها أمر شديد يصعب عليها استيعابه أو صدمة يتوقف عقلها عن التفكير تماماً في الموقف لساعات أو يوم أو أكثر حسب صعوبة الموقف ، وتصحو من نومها أو غفوة قصيرة متخذة قراراً واجب التنفيذ في الحدث الذي ألمّ بها.

في البداية كانت تحاول مناقشة ما اتخذته من قرارات وهي نائمة ودائماً تكون الغلبة لمي القوية (عقلها الباطن) ، ومع الوقت وثقت في قراراتها وأصبحت تنفذ بلا تفكير، وكلما عظم الحدث كلما كانت تنفذ القرارات بكل دقة وحزم أشد ، وإذا تقاعست مي الطيبة في منتصف طريق تنفيذ القرارات لحنية قلبها أو طيبتها وجاءت النتائج غير مرضية لحقها عقلها الباطن بقرارات أقسى وأشد، وهذه المرة تنفذها مي بعنف حتى لا يصدق من يعرف مي جيداً أنها هذا الشخص القاسي.

ورغم ضيق مي من معاملة أبيها لها ولأمها ، إلا أنه كان مثال الرجل المحترم في حياتها ، ولا تدري أنها لشدة اقتناعها بعقلانيته وأرائه التي لا تخطئ أبداً نشأ في ذهنها صورة لزوج المستقبل الذي لا بد وأن يكبرها في السن، ببدلة وكرافة وحذاء لامع وه قرارات صائبة، مع اشتراط الخنوع، ورقة المشاعر. أي صورة مطورة للأب وقد عاجلت عيوبه من جفاف مشاعر، وهو العيب الوحيد المتسبب في كل ما يضايقها منه ، وبالتالي كان كل الشباب «عيال» من وجهة نظرها لا تعيرهم أي انتباه أو تعاملهم على أنهم رجال أساساً، وثبتت وجهة نظرها فيهم مما سمعته من

الزميلات القدامى في دار الطالبات عن زميلة أحرقت نفسها بعدما خدعها زميلها باسم الحب في علاقة أئمة ثم تخلى عنها لتحرق نفسها آخر يوم في الامتحانات بعدما عرفت بخطبته لأخرى وخوفها من عائلتها ، فكان ذلك درساً قاسياً لمي لتكره من يجروء على مصارحتها بالحب أو حتى التقرب منها ، ويثبت ذلك صحة كلام الأب عن الشباب ( الصايغ ) وترفع القناعة بما يقوله الأب.

بعد مرور سنتين كانت مي قد اختلفت فكراً بنسبة بسيطة عما دخلت الجامعة لكن باختلاف كبير في شكل ملابسها الذي أصبح يرضيها ، وقد حققت شبه السعادة التي تريدها فقد أصبح لها صديقات في دار الطالبات وأصدقاء من زملاء الجامعة الشباب والذين تعرفت إليهم بالصدفة. وكانت حثيات قبولهم كأصدقاء لها أنهم جميعاً مرتبطون عاطفياً، بالإضافة لمواقف الشهامة منهم في إحدى الرحلات ، ورغم نظرتها لهم كمحترمين، لم تفكر في نقض نظرية الأب التي زرعتها عقلها ببساطة لأن أحدهم لو يصارحها بإعجاب أو حب فيصبح «صايغ» بلا أخلاق يريد العبث معها لأنها ليست جميلة أو مرغوب فيها كما تعتقد.

أما أصدقائها الشباب فقد اكتشفوا فيها طيبة وشفافية غريبة، فخافوا عليها، فأحاطوها برعايتهم في رحلاتهم أو تعاملات الكلية فكانوا إعاقة أخرى لها من التعامل مع العالم المحيط، لكنها سعيدة بهم وكفي.

في العام الثالث الجامعي يتقدم قريب لأبيها لخطبة مي ، يفرح الأب بالعريس فهو ممتاز مادياً وبالنسبة لأخلاقه من الطبيعي ولا جدال

إنها على أحسن ما يكون؛ لأنه ببساطة من عائلته الرفيعة العريقة ولا بشر يساويهم بعائلته إلا من تنطبق عليهم مواصفات العائلة المحترمة من وجهة نظر الأب ومن خارجهم (صيع).

أقع الأب مي بقبول العريس فهو عالي الخلق سيصونها، وغيره سيبينها، وعلى وعد من الأب إن لم تفاهم معه يفسخ الخطبة.

وافقت مي علي العريس مقتنعه بكلام الأب الذي لا يخطئ في الحكم على الأمور. وصور لها العريس نفسه على إنه الشخصية التي تريدها بالضبط، فهو يشجعها على العمل بعد الزواج وسيعلمها قياده السيارة حتى تستطيع الذهاب لعملها بلا تعب و..... و..... كل ما كانت تمناه مي في زوج المستقبل، ولم تفكر للحظة أنه يكذب ولم يكذب؟ قد قال الأب أنه محترم، وأيضاً لم تشك لثانية أنه قد عرف عنها كل ما يريد معرفته من أبناء عمهم المشتركين ليصور لها أن أحلامها تحققت.

تمت الخطبة بسرعة لشبكة كانت حديث العائلة، بعد فترة قصيرة قضتها مي فرحة بتعامل الخطيب الحنون الطيب معها، وبعد الخطبة بأيام كان له وضع آخر.

تغير كمال في تعامله مع مي مئة وثمانون درجة، فظهرت حقيقته الجافة الناظرة للمرأة نظرة متدنية؛ فعاملها بإهمال شديد يصل إلى تعمد تجاهلها وإحراجها أمام العائلة، وهي لا تفهم سبب لتغيره.

- ليه متغير؟
- أنا كدا، مش متغير.
- لا كنت غير كدا.
- اتعودي على كدا.
- أتعود على إهمالك ولا تجاهلك، توعدي بالحضور للغداء وأجهز الأكل، وأستيتك وتطنش ليه؟
- اتعودي، دي طريقي.
- بتكرهني كدا خلاص سيبني ، افسخ الخطوبة لكن متعاملنيش كدا.
- أولاً مش كارهك، وهكرهك ليه؟ لكن لازم تتعودي على طريقي. ثانيًا الخطوبة عندنا زي الجواز مقيش حاجة اسمها فسخ خطوبة ، فيه إيه إنتي غير البنات؟! أخواتي زيك متعلمات ومعتادات على كل ذلك. اعتادي زيهم وخدي الأمور ببساطة وبلاش علو أنفك دا.
- مش هتعود .
- براحتك إنتي اللي هتتعي.
- تخلع مي الدبلة وتعطيها لوالدها تطالبه بتنفيذ وعده بفسخ الخطبة ، لكن الأب يفاجئها، بأن والده ووالدته قد حضرا خصيصاً لها واعتذرا ولا يجب أن زدهم.
- لكن ما اعتذرش ومش معترف بغلطته أساسًا.
- وعدني عمي أبو كمال بأنه يكلمه في الموضوع، صدقيني لو فسخنا الخطوبة هتتعي في إيد اللي يظلمك.
- هو بيظلمني، إيه الفرق؟

- لا ااااا كمال ليه عيلة وأب نشكيه ليههم، لكن أي صايح أهله زيه.  
- متخافيش هيتغير صدقيني.  
وتصدق مي وتلبس دبلتها وتعود المياه لمجاريها بلا اعتذار منه، ولكن  
بفسحه جميلة وهدايا، أقنعها الأب أنها طريقته في الاعتذار.  
وليعود بعد أسبوع لنفس الطريقة الجافة المتجاهلة المهينة لأية فتاة.  
وتعاود مي محاولات فهمه والتقرب منه.  
- ليه خطبتني؟!  
- عجبتيني.  
- ولما عاجباك ليه المعاملة الوحشة؟  
- قلت هي دي طريقي.  
- طريقتك تكسر نفسيتي، ليه مادام عاجباك؟  
- إنتي عاجباني، دماغك مش عاجباني دماغك هي اللي عاوزه الكسر، واثقة  
قوي في نفسك وأبوكي سايبك تنكلمي راسك براس أي راجل.  
- أنا بتكلم بأدب.  
- متتكلميش خالص وأنا قاعد.  
- ليه؟ إزاي؟  
- من غير ليه ولا إزاي، نفذي كلامي وخلاص.  
- دي طريقة راجل متخلف، أنت غير كدا وإلا مكنتش وافقت على شغلي  
بعد الجواز.  
- لا دا في الأول بس لا شغل ولا غيره. إنتي صدقتي.

- أنت وعدتني.

يضحك كمال من سذاجتها: كل الناس بتوعد وخصوصاً اللي خاطبين،  
وبعدين ينسوا وهي كمان بتنسى. هيكون عندك ولاد وأنا، شغل إيه؟ انسي.

- لأ طبعًا مقدرش أعيش كدا ، دا كان شرط.

- وأنا مش موافق (ويشير لرأسه) دماغى مش فايقالك؛ أنا عندى أشغال  
أهم من الهبل اللي بتقوليه... ويكمل - أقولك قولي لأبوكى إنك رافضة.  
- هافسخ الخطوبة.

- ماشي بلغي عمي بقرارك (ويضحك ويتركها، واثقًا فيما سيحدث)  
تخبر مي والدها بما حدث:

- مش هاتجوزه.

- ليه علشان الشغل والبهدله! إنتي عاوزه واحد يشغلك وياخد مرتبك.  
الراجل مش عاوز يتعبك ولا عاوزه واحد صايح مستني فلوسك! لااا ، وأقول  
للناس فسخت الخطوبه ليه علشان ملايم هتقبضيهها، العيلة تقول عليا إيه؟  
- أنت وعدتني.

- السبب قوي مش هبل ، ولا أسيبك لواحد صايح يرمطك ، أنا أبوكى  
وأفهم أكثر منك. الناس وحشة وكمال أضل من غيره بكيبير. إنتي متعريفش  
الدنيا فيها بلاوي ، بيهدلوا ستاتهم، كمال عمره ما يهدلك.

وتفذي مي كلام الأب وتستمر في الخطبة حزينة لما تراه في زميلاتها  
المخطوبات من رونق ووجه مشرق وابتسامة مضيئة وحكايات عن خطابهن  
وحبهم لهن. لا تحسدهن ولكن تمنى أن تكون سعيدة حاملة مثلهن ، لكنها  
تخاف مما حذرهما منه والدها مرارًا وتكرارًا ، والدها ذو العقلية التي لا

تخطئ ولا تتحدث عن هراء ، ورغم ما وجدته من خطأ في رؤيته لشخصية كمال إلا إنها لا تفكر أساساً في أنه مخطئ كلا وحاشاء، فهي تعامل أوامر أبيها وكأنها كتاب إلهي منزل من عند إله صنعته بيدها ، وثن وهي له عابدة صالحة مطيعة ، ولا تفكر أبداً في كسر صنمها، والعيش بلا عبوديته.

وصلت مي للسنة الرابعة في الكلية وقد تغيرت كلياً عن مي الطيبة التي التحقت بالجامعة من ثلاث سنوات ، وإن زادت ثقته في نفسها رغم محاولات كمال لكسرها، وزادت أيضاً ثقته في رأي وثنها، أن الحب ليس من نصيبها ومن يتقدم لخطبتها طامعاً في مال أبيها لا أكثر ولا أقل وصارت جملة (يعني هيحبها على إيه) وكأنها إيه من الكتاب المنزل من وثنها والذي أنهى به أي نقاش في هذا الأمر لغير صالحها، تبكي كثيراً متعجبة لحالها لم لا يحبني أحد؟! أنا أجمل من كثيرات، لم لا يرون جمالي وجمال روحي؟

لاحظت صديقتها أن أحد الزملاء يميل إليها.

- علي بيحبك.
- أنا ومحبي علي إيه؟! وكمان دا عيل ما أعرفلوش عيلة.
- تضحك معنى: كلنا من عيلة مش لقطاع.
- آسفه قصدي هو.
- ماهو زى، وبعدين كل ما نتكلم تقولي يحبني علي إيه؟ بيصوا لي علي إيه؟ إنتي مش شايقة نفسك.
- مالي؟
- إنتي جميلة جداً.

- أنا؟ بجد؟

- إنني عبيطة ولا بتستعطي، إنني فعلاً جميلة وروحك أجمل.

ولأول مرة تتجأمي وتحكي عن ضيقها من وثنا لكن بتحفظ واحترام له، وعن خطيئها وحزنها على حالها؛ أنها لم ولن يجبا أحد.

- ليه بقى إن شاء الله؟ عينك في قفاكي ولا إيه.

- من غير تريقة، كلامهم صح مفيش حد حبيني.

- كتير بيحبوكي، إنني مش شايفاهم أساساً، وثنتك عمت عينكي عنهم. تحي أعدك لك كم شاب بيحبك وكم معجب.

- قلت لك كلهم مش بيحبوني، هم بيرسموا بس على فلوس بابا، أنا حظي

واضح عندي ميراث من سوء الحظ العاطفي.

تعلم مي بالصدفة أن خطيئها قد شرب خمر ودخن المخدرات في فرح قريب لهما، لتسأله مي ويؤكد كمال لها ذلك مؤكداً أنه شيء عادي (تفاريح) كل الناس كدا.

تحتج مي وتخبز والدها مصممه على فسخ الخطبة، متوقعة أن أباه سيصدم ويوافقها على ما تريده، فوالدها لا يدخن حتى سيجارة عادية ولا حتى يشرب القهوة، وتصدم مي صدمة قوية تزلزل كيانها.

- مينفعش أفسخ الخطوبة بسبب كدا.

- يعني إيه؟ طول عمرك تشتم اللي بيدخن الحشيش أو يشرب خمر.

- الأب: نعم لكن مفيش حد هيقتنع بفسخ خطوبة للسبب دا، شرب في

فرح مرة مش مشكلة. هيقلوا بيشر من ماله.

زلزال قوي ضرب دنيا مي فأطاح بأصنامها فتكسرت لمائه قطعة ، لم تحاول مي للمتها. وكالعادة توقف عقل مي لآخر اليوم غير مصدقة موافقة أبيها على تصرفات كمال، ولو كانت هذه التصرفات من شخص آخر لوصفه بالصايغ.

تعود مي لكليتها مختلفة في التعامل مع كمال، الذي لاحظ لخبرته تغير مي من بدايته، فهي ترد عليه ببرود؛ لا تعاتبه إن صدر منه ما يثق أنه سوف يضايقها ، يختار كمال ويتعجب لها ، فيحكى لصديق على شاكلته: مي متغيرة جداً

- كويس تبقى اتعودت.
- لا مش موضوع تعود، زى ما تكون ميتة مفبهاش روح، صدقني لو واحدة غير مي كنت شكيت فيها، لكن مي ما تخونش ولا تعرف تخون.
- كويس، متضايق من إيه بقى؟
- إني مش فاهم وكمان بقيت حاسس إنها بعبادة قوي.
- أنت كنت عاوز كدا.
- لا أنا متضايق ، كنت عاوزها مطيعة؛ متفرغيش وتعترض، لكن مش باردة كدا.

## يضحك الصديق شامتاً:

- تصدق شكلك وقعت وبتحبها.
- لا يا راجل ، بس متهملينش كدا، دي مش مفكرة فيا خالص ولا بيهمها أتصل بيها أو لا أو أزورها .... لا فيه حاجة.
- خليها تغير ، هم الحرم كدا، يغيروا يبقوا هيموتوا عليك وزى الفل معاك.
- تغير؟ ودي هتغير من مين؟
- أي واحدة ، المهم ست تانية.

\*\*\*\*\*

يسافر كمال لزياره مي محملاً بالهدايا في دار الطالبات ويأخذها لأنعم مطعم ومحلات. ومي كما هي لا تتحدث عيناها جامدتان لا لمعة بهما، كالماضي أكدت له أنها قد بدأت تغلت من يده ، ضاعت منه مي التي أعجب بها، ويبدو أنه يحبها ولكنه يتكبر على الاعتراف بذلك، هو لا يريد تلك الدمية، ويتعجب سائلاً نفسه أهو أحبها بروحها الثائرة ، لكنه لا يحب المرأة الثائرة المعترضة، إذاً لماذا هو متضايق؟ قد أصبحت كما يريد ولم يصل لإجابة ، فقرر بخبرته في عالم النساء تنفيذ خطة صديقه ونسى أن من عرفهم من نساء هم من نوعية معينة، تختلف تماماً عن مي وبنات الناس المحترمين ذوي الفكر.

فن عرفهن إما نساء منحرفات أو بنات أسرته المطيعات غير معترضات..

- كمال: مي عاوز أعترف لك بموضوع عشان أريح ضميري.

مي بلا اهتمام:

- إيه تاني شربت خمرة في فرح تاني، مش مهم.

كأل متصنعاً الجدية والندم:

- آسف بجد أنا.....

نتعجب مي وتنتبه فأول مرة تسمع كلمة آسف منه.

يكل كأل:

- أنا قابلت واحده كنت أعرّفها زمان ، واحده يعني..... من.... ما كنتش

أقصد بس غصب عني؛ إنتي بتهمليني من مدة ولا بتعبريني.

تسكت مي لثوانٍ ثم تسأله:

- واحده إيه؟ وعملت إيه؟

- كمال: يعني كنا يعني، إنتي فاهمة بس مش هعمل كدا تاني طول ما إنتي

مهممة بيا ، الموضوع في إيدك ، وهتوب طول ما إنتي مهممة بيا وسامعه كلامي.

ترد مي بسرعة:

- خنتني وإحنا مخلطوبين لإني عاملتك بمعاملتك؟ طيب لو اتجوزنا هتعمل إيه؟

- كمال: لا ما إنتي عرفتي أنا ضعيف أي معاملة وحشة منك، بنهار قصاد

الحنية من أي واحدة ، وولاد عمك كلهم عارفين عني كدا، وشافوني معاها.

لم يستوعب عقل مي كلام كمال وخصوصاً آخر كلامه، أن هناك من رآها معه، ولكن هناك عقل آخر قد استوعب الحقيقة جيداً وفسرها ونظمها ووضع لها طريقة الرد وخطة فسخ الخطبة، أما مي فقد صمتت تماماً حتى تركته على باب دار الطالبات بلا سلام.

أما كمال فقد فسر سكوتها، أنه غضب طبيعي وأنها سوف تعود كما يريد وستنجح خطته، مقررًا تركها لعدة أيام قبل أن يتصل حتى تهدأ.

تدخل مي حجرتها وكان شيئاً لم يحدث، توزع الحلوى والهدايا التي أحضرها على صديقاتها وتركهن يفتحن حقائق الهدايا مندهشين لكميتها، وتنام.

تستيقظ مي في اليوم التالي لا تفكر في شيء على الإطلاق وما زال عقلها متوقفاً، ففجأة كمال الجديدة من النوع الثقيل.

تدخل الكافيتريا تجد أصدقاءها يأخذون صوراً للذكرى، وتشاهد المصور وهو يلتقط صورة جانبية قد تظهر فيها ملاصقة لزميل لها بحكم زاوية الالتقاط، فتقترب جانباً أكثر.

في اليوم التالي وقد بدأ عقلها في الاستيعاب، وقد ظهرت الصورة، والزميل يعتذر عن الصورة إنه لم يقصدها ويريد تقطيعها، فترفض وتأخذها وتطلب منه أن يحضر لها الفيلم (النيجاتيف) فيحضره لها.

وتستمر مي في خطة هي لا تعلم خطواتها فقط تنفذ ما يطرأ على بالها حين تستيقظ من نومها، وتعزم كمال على رحلة مع كليتها، فيتهج كمال متصوراً

نجاح خطته ويذهب لها غير ناسياً للهدايا.

ويفاجأ بتعمد مي لإهماله وتركه وحده، واللعب ونط الحبل مع الزملاء.  
ليعرض كمال:

- بتعملي إيه؟ إنتي عازماني عشان تسيبيني وتلعي مع العيال دي!  
- مي: إحنا مش عيال أنت نسيت إني قدهم ، وقلت لك تعال ألعب، أنت  
رفضت مش هضيع الرحلة عشانك.

- كمال: إنتي اتجننتي؟  
- مي: اتعود على كدا، أنا مجنونة والحمد لله إنك عرفت قبل ما نتجوز.

وتعمد مي الهزار المبالغ فيه مع الزملاء، وسط دهشتهم فهم غير معتادين  
على ذلك منها.. وغضب كمال الشديد.

يعود كمال من الرحلة مستشيطا لا يطيق نفسه ، ويتصل بها بعد ميعاد  
إغلاق بوابة الدار، لتعنيفها على ما فعلته في الرحلة، ليجد المشرفة ترد عليه  
بأن مي تبيت خارج الدار، ويهرب كل دم كمال من رأسه وقبل أن يسألها  
أين تبيت تكون المشرفة قد أغلقت الخط.

تضحك مي مع المشرفة والتي عينتها القوى العاملة حديثاً في الدار، ولأنها  
أتة فكانت المشرفات المتزوجات يطلبن منها المبيت مكانهن.

ولأنها لطيفة وتكبر مي بسنوات بسيطة، فقد نشأت صداقة بينهن. فرحين  
بجرقة دم كمال كما اتفقاً بعدما حكّت للمشرفة ما فعله. وبينما هما يضحكان  
نتصل أم مي للاطمئنان على مي بعدما أخبرها كمال أنها تبيت خارج المدينة

فترد مي على أمها بأن كمال شخص غير طبيعي يود الإساءة لها فقط ، ولتتصل الأم بعد ذلك لتعنف كمال على اقترائه على بنتها.

يعاود كمال الاتصال فتؤكد له المشرفة -ومي تجلس بجانبها- أنها تبيت خارج المدينة والأريز عيها ثانية، والأفضل له أن يبحث أين تبيت خطيبته وتتمى المكالمة بضحكة ذات معنى، وتصفق مي للمشرفة وتحتضنها وتقبلها.

بينما أصبح كمال متأكداً من مبيت مي خارج الدار، وأن أمها تداري عليها ولم يتم في ليلته بل يقضيها وهو جالس في البرد يدخن سجائره للصباح. في اليوم التالي يسافر لها وتفاجأ مي به أمامها، ويسحبها من ذراعها وسط زملائها وسط دهشتهم.

- كنتي فين امبارح.
- معاك في الرحلة.
- مش عاوز استهبال ، بعد الرحلة بالليل.
- نايمة كنت تعبانة خالص.
- نايمة فين؟
- في الدار.
- أنا اتصلت والمشرفة أكدت إنك بايته بره -ويعلو صوته- كنتي عند مين؟
- مي تصطنع الخوف منه: بصراحة بيّت عند واحدة صاحبتني؛ كسلت أرجع الدار كنت تعبانة.
- ميحصلش ثاني ، مين صاحبتك دي؟ اسمها إيه؟

تذكر له مي اسماً غير حقيقي ، ويوصلها كمال للدار أمراً إياها بعدم الخروج أبداً من الدار إلا للجامعة، ويعود للكلية ويسأل عن اسم الزميلة الذي ذكرته له مي ويفاجأ بعدم وجود اسمها بالكلية.

يعود كمال لبيته وقد توقف عقله لأول مرة ويتصل ثانية بالدار، بعد ميعاد غلق الدار، لترد عليه المشرفة لثالث مره أن مي تبنت خارج الدار وبطريقة توحي له بأنها غير راضية عن سلوك مي.

يكاد كمال أن يطول السماء، لم يشعر بمثل هذا الاختناق من قبل وإحساس مهين بالعار والخذاع كيف وهو العارف، تخذه ويتصور أنها ساذجة بريئة، متسانلاً إن ذلك انتقام الله منه ومع الفجر بدأ رحلته ثانية ذاهباً لمي.

يبحث كمال عن مي فيجدها تلعب تنس طاولة مع زميل لها في كافيتريا الكلية ، يناديها، فتذهب له وتطلب منه الانتظار حتى تنتهي من اللعب ، ينظر لها نظرة نارية بعينه الحمراءتين من قلة النوم والغضب، ويجذبها من ذراعها بشدة أكثر من الأمس فتذهب معه ليحشرها بالسيارة ويسير بسرعة شديدة، بعيداً عن بوابة الكلية.

يجلسها في مكان هادئ راقٍ ونظراته لها وكأنها من نار.

كمال محاولاً التحدث بصوت منخفض: من غير كذب كنتي فين؟ وإياكي تعولي عند صاحبت، ك أنا سألت مفيش الاسم دا في الكلية.

- كنتي فين انطقي؟ عند مين؟

لا ترد مي وتصطنع فتح شنتطها لإخراج منديل لتتبع الصورة الجانبية التي التقطت وكأنها لا تنتبه لها ، تحاول التقاطها بسرعة وارتابك، فينتبه كمال ويجذب الصورة من يدها، ويصعق لرؤيتها.

ويشير كمال لزميلها في الصورة:

- هو دا ؟ هو دا اللي استغفلتيني عشانه، وأنا كنت فاكرك محترمة، بترسمي البراءة عليا أن. ، أنا يتضحك علي. من عيلة زيك طلعتي.....

تدور الدنيا بكال وتلفه لفاً سريعاً ، يمسك بالمنضدة التي يجلس إليها وكأنه سيقع عن كرسية. كيف سيواجه العائلة ومجتمعه؟ ماذا سيخبرهم عن سبب فسح الخطبة؟ يخبرهم أنها استغفلته وهو يستغفل الجميع ، أتكون نهايه كبرياته على يد هذه الغبية؟ ومن سيصدق؟! .. لن يصدقه أحد سيعتقدون أنه يريد إنهاء الخطبة ويفتري عليها فمي فوق الشبهات ولن يصدق أحد ، وحتى لو صدقوا سيعلم الجميع ويسهرون الليل يتسامرون بقصة من أضاعت كرامته وشرفه وجعلته فرجة البلد.

تنظر له مي شامته وهو ينظر في الفراغ والعرق يتصبب منه وكان روحه ستتركه وتصعد.

- أنا آسفة. قالتها مي وماتت رعباً من نظرته وعينيه، وكان الدم سيتدفق منهما لكنها أكملت : ساعني أنت السبب بتعاملني أسوأ معاملة وبتهملني ولا بتحبني .... أعمل إيه وأنا محتاجة للحب؟! ... أنا ساحتك قبل كدا.. ساعني أنت المرة دي .. ونبقى خالصين.

ضغط على يدها بعد كلمتها الأخيرة، حتى كادت تصرخ منها، وهو ينزع الدبلة من إصبعها ويأخذها في يده.

- كمال: دبلة عليها اسمي متبقاش في إيد واحدة زيك ، إنتي بتردييها لي؟....  
إنتي؟ .... أنا هقتلك لو أبوكي ما قتلكيش.

تخلص مي يدها منه بصعوبة وتللم كتبها وتمشي بهدوء غريب، وكأن ما يحدث لا يخصها وكأنه فيلم أو مسلسل تشاهده وهي جالسة في هدوء. يلحق كمال بها ويمسكها من ذراعها ويدخلها السيارة رغماً عنها، ويجلس مكانه وهو يهيج.

- كمال: حنوح لأبوكي مش هترجعي للدار.

- مي بهدوء غريب مبالغ فيه: ليه؟

- كمال: أبوكي يشوف ميعمل إيه معاكي وإلا أنا هتصرف معاكي.

- مي مستمرة في الهدوء: مش هيصدقك ولا أي حد هيصدقك.

- كمال: هبلغ العيلة كلها.

- مي: وأنا معاك نقول للعيلة إني خنتك وضحكت عليك و....

يخبط كمال على عجلة القيادة بقوة وهستيرية، ويستدير لمي. تفزع مي من نظرة عينه وتنزل مسرعة من السيارة وتجري للجهة الأخرى، وتشير لتاكسي وتقذف بنفسها داخله وقد قتلها الخوف منه، يشعر السائق بخوفها فيسير مسرعاً.

- السائق: فيه حاجة يا آنسة؟

- مي: آه كان بيعاكسني.

- السائق: مش هيقدر يقرب لك متخافيش.

تلاحظ أن سيارة كمال تمشي خلف التاكسي، فتصرخ في السائق الذي يقف ويسحب مفتاح كبير من عده المفاتيح اسفل كرسيه وينزل لكمال - وهو يصرخ - ويجمع الناس ويهم الجميع بضربه، فينظر لمي بدموع متحجرة في عينيه ويعود لسيارته ملهلاً بقايا كرامته .

تبسم مي وتتنهد ،

- تنظر من الزجاج الخلفي لترى دموعه قد انفك تحجرها، وسالت من عينيه وقد لف ليسير في الاتجاه العكسي .

تسحب مي نفسها عميقاً وتعتمد في جلستها شاكرة السائق شهامته داعية لبناته بأبناء الحلال .

- السائق : الله يكرمك إحنا عندنا ولايا، منرضاش بقلة الأدب.

هزت مي رأسها:

- ولا أنا أرضى بقلة الأدب \_وتتنهد براحة\_ دار الطالبات لو سمحت .

تمت

obeikandi.com

## مستورة «١»

نزلت مستورة من الميكروباص تسير شاردة ، تسمع السائق ينادي عليها ؛  
لدفع الاجرة ، ترجع نجمة تعتذر وتدفع الأجرة، وتكمل سيرها ببطء، وآلام  
رأسها وجسدها تزيد شعورها بالغم والحزن، تشعر بالحناء وكأن جسدها  
هيكل فارغ تصفر الريح داخله.

عقلها يدور في حلقة مفرّغة من الألم إلى الحزن والذي يقذفها بدوره  
لليأس، ليزيد آلامها ثانية.

نتعثر رجل مستورة في حجر صغير، فتلتوى رجلها، وتكاد تنكفئ على

وجهها؛ تستند على سيارة مركونة على جانب الطريق تمنعها من السقوط.  
تحمد الله وتبلفت حولها لتجد نفسها قد قاربت باب العمل تُكمل السير  
وهي تعرج من أثر الالتواء.

تفتح الباب الرئيسي للعمل وتدخل وتسمي الله وتقرأ آيات قرآنية، وتفتح  
أبواب المكاتب والشبايك وتبدأ في النظافة اليومية من كنس ومسح  
وتلميع المكاتب وتتهي عملها كما تنبيه كل يوم منذ عشرين عاماً لكنها اليوم  
بطيئة عن أي يوم آخر متألمة متعركة، تتحرك كالإنسان الألي، تعمل بلا  
تفكير فعقلها كالأسلاك المتشابكة لا تعرف بدايتها أو إلى أين ستصل؟

يبدأ الموظفون في الوصول لمكاتبهم وتبدأ فترة العمل الثانية لتلبية طلبات  
الموظفين.

حنان تنادي:

- مستوورة الشاي واليسكويت.

تبعها منال:

- وقهوتى يا مستورة.

وتتابع الأصوات طالبة مشروب الصباح ، ومستورة تتفد بلا رد مختلفة  
 عن كل يوم ، فرغم كثرة مشاكلها إلا أنها كانت تمازحهم وهي تقدم  
 طلباتهم؛ لتخرج من حزنها العادي ، لكن حزن اليوم أقوى من أن تخرج  
 منه. صوت سيد يصل للسماء ويدق بيده المنضدة بعنف ونظرة غضب  
 لأمه وكأنها ارتكبت فاحشة: مش مكسوفة من نفسك، عاوزه تفضحيننا،  
 نسيتي إنك جدة

يكح سيد من أثر الشيشة والسجائر ، ومستورة تنظر للأرض تمسك  
 رأسها بيديها مستندة بكوعها على ركبتيها صامتة ودموع غزيرة تنزل من  
 عينيها.

ويكل سيد:

- عاوزة تجوزي يا (نوَّعَه) نسيتي عندك كام سنة؟

تصرخ مستورة في سيد :

- مية سنة يا سيد وكفاية قلة أدبك دي منسيتش يا سيد، أنتم اللي نسيتم،  
 هم وشغل وضرب أبوك فيا، فاكر كان بيضربني إزاي بالحزام لغاية ما اتشل،  
 وياربني ارتحت منه إنما خدمة وشيل وحط ،أأكله وأغيرله زي العيال الصغيرة  
 لوحدي وكان جسمه قدى مرتين، حد كان يبشيله معايا ولا بيتحمل شتيمته  
 وطولة لسانه ، وأكلكم ومصاريف تعليمكم ولبسكم، ولا أدوية أبوك، مش من  
 خدمة البيوت، لغاية ما اتعينت في الحكومة وبرضو مسح وكنس وخدمة.

## سيد مُستفزاً من كلام مستورة :

- مالنا ومال السيرة دي أبويا الله يرحمه خلاص، خيلنا في فضيحتك.

## يعلو صوت مستورة :

- اخرس أنا ليا فضيحة ليه؟.. ظبطتني بعمل إيه؟ أنا هتجوز على سنه الله ورسوله ، أنا تعبت من الشغل وعاوزه أتسند على راجل، ولا هفضل أبيع شاي وأخدم طول عمري ، عملت اللي عليا، كبرتكو وجوزتكو أنت وأخواتك شقبت وعملت جمعيات وسلف من المرتب ومضيت كمبيالات؛ عشان جهاز أختك وشبكتك وشقتك أنت وأخوك وسديت اللي عليا للآخر.

## سيد ينظر لها بوقاحة ويبتسم باستهزاء، ومستورة تُكلم :

- أنا لو بتاعت فضايح كنت فضحتكم من زمان وأنا صغيرة وحلوة وأبوك مشلول وأنا مش لاقية فلوس ، إنما الكل بيحلف بوقفتي ولا أجدعها راجل.

## «مستورة. مستورة» صوت حنان ينادي

- مستورة: أيوه يا أبله، معلش مش سامعاكي.

- حنان: مالك؟!

- مستورة: تعبانة شوية ، يظهر ضغطي عالي.

- حنان: أكيد من ولادك؛ عشان موضوع جوازك، صح؟

## تهز مستورة رأسها بالإيجاب.

- حنان: سيبك منهم هو مين منهم بيزورك ولا بيعبرك. الشهر اللي فات ولا واحد منهم جالك. فاكرة لما قلتي لي ، إنني أدّيتي رسالتك كاملة ، اتجوزي

ولا تفكري فيهم.

تدخل منال صارخة في مستورة، وقد سمعت ما قالته حنان:

- جواز إيه يا مستورة، أنت هتخبي في الآخر ولا إيه؟! عيب يا ولية ولادك رجالة.

يعلو صوت حنان ضيقاً من تبكيت منال لمستورة:

- يعني إيه عيب؟! مين قال إن الجواز عيب ، عندكم دين لوحدكم! إذا كان ربنا سبحانه وتعالى محلله ، هاتي لي آيه بتقول عيب لما واحدة تتجوز عشان ولادها رجالة وإلا كانت السيدة خديجة ما اتجوزتش.

تأتي سامية من المكتب المجاور على صوت حنان فتجد مستورة مطأطأة الرأس تبكي:

- في إيه؟

منال وهي تنثني يمينه ويسرة وتتحدث بطريقة رقيقة:

- مستورة يا ستي عاوزه تتجوز.

تجري مستورة من الحجره باكية ، وتنفجر حنان فيهما :

- أنتم ما عندكوش دم، حرام عليكم ، شفتي منها إيه عشان تتكلمي بطريقة الرقاصات دي.

منال وهي مُصمصة شفيتها :

- يا سلام واحده في سنهنا تتجوز بتاع إيه ( وتحرك ح حاجبيها لاعلى واسفل وهي تنظر لحنان وتبتسم) عاوزه إيه بالظبط؟

ترد حنان باحتقار لمنال :

- عاوزه اللي تعوزه هي حرة.

(وتشيح لها بيدها )

- عاوزه زي اللي عندك، ولا إنتي مش متجوزة؟

- ترد منال بارتباك: يعني إيه؟

حنان مقلدة منال في طريقته:

- يعني لو اللي هي عايزاه عيب عشان ولادها رجالة، يبقى الأصول تطلقني

من جوزك لإنك من سنها وابنك راجل ، اللي تتكلم تشوف نفسها الأول  
وبعدين تتكلم.

- سامية : بالراحة يا حنان ، وبلاش طريقته دي يا منال ، لكن بصراحة

هي اتأخرت في موضوع الجواز ، كدا هتضيع كل اللي عملته وتهد الدنيا.

تقف حنان من العصبية:

- اتأخرت في إيه، الجواز ربنا محددش له سن. تاني؟ هتعملوا شرع غير شرع

ربنا ، ولو كانت اتجوزت زمان كنتم هتقولوا جايت لولادها جوز أم ، والدنيا إيه  
اللي هيهاتها؟

تبسم سامية للتهدة من حدة حنان:

- منظر ولادها الرجالة قدام الناس يكسف.

## زداد عصبية حنان بدلاً من أن تهدأ :

- تالت مرة كلام لا في شرع ولا دين، وولادها لو ما قدروش تعبها ومرارها السنين اللي فاتت يغوروا في داهية.

## وتخبط حنان على المكتب لتذكرها شيئاً:

- أو يتفضلوا يقعدوا معاها يسلوها ويشوفوا طلباتها مادام هم رجالة.  
- سامية: والله هي مرتاحة بلا رجالة بلا نيلة، إحنا طهقناين من جوازنا.  
- حنان: قلت لكم تاهت ولقيناها. انطلقني ما دام الرجالة نيله وارتاحي.  
وسبي مستورة في النيله لوحدها.

## تشوح سامية لحنان بيدها لإنهاء الكلام وتنادي:

- مستورة عاوزه ورق.  
تعود مستورة لبيتها تجر قدميها، بعدما اشترت طلب جميلة ابنتها بامية للتخزين ، وكلام سيد والموظفات يرن برأسها.

- سيد: واحده غيرك تحترم نفسها وتحترمنا.  
- مستورة: أنا محترمة غصب عنك وعن أي حد.  
- سيد: واضح الاحترام وإنني لابس ملون.  
- مستورة: أبوك مات من سنين مش كفاية سواد ، أنا من وأنا حامل في أختك ما لبستش هدموم جديدة كله شحاتة من أختي والموظفات، وكلها هدموم سودا حتى قبل ما أبوك يموت وكان السواد مكتوب عليا.  
- سيد: الأرملة المحترمة ما تخلعش الأسود.

- مستورة: هدومي ملونة أه، لكن غامقة وطويلة لا حمرا ولا قصيرة.

محمد محاولاً التودد لها:

- يا أمه الله يكرمك اطلعي حجّي. قدمي في حج القرعة، أيوه الناس بتعمل

كدا في سنك ، يا أمه هنبقى لبانة في بوق الناس .

وجه سيد أحمر يكاد الدم ينفجر منه:

- يا أمه أهل مراي هيدلوني، انت عارفه حماتي وطولة لسانها، ومش معرف

أرد.

- مستورة: وتسبب حماتك تتكلم على أمك وتسكت؟

- سيد: ما أنا وشي في الأرض منك هرد أقول إيه؟

تدق أم علي الجرس فتوقظ مستورة من أفكارها وتسرع بفتح الباب ،

وتشهرق أم علي لرؤية مستورة أختها شاحبة هزيلة.

تحكي مستورة كل ما حدث من أولادها والموظفات.

- أم علي: إيه قلة الرباية دي ، سيد دا قليل الأدب والموظفات ظلمة. دا

المثل بيقول: «إيش عملت الحرة؟ قالوا: اتجوزت واتطلقت» دا الطلاق مش حرام

هيبقى الجواز حرام!

- مستورة: خلاص يا أختي هقول لجلال إن ولادي رفضوا.

- أم علي: لا يا أختي استنى شوية، سيد أنا هاكلمه ، وسبيك من الناس

هو حد فيهم عاش غلبك ، دا جوز أمك الله يسامحه جوزك وأنت بنت ستاشر

لواحد صاحبه عاوز يخلف بعد ما قطع الأمل في الخلفة من مراته الأولى، ولا

حد انضرب مكانك، ولا مين شقي مكانك كل واحد يخليه في حالة.

يرن جرس التليفون ، تسرع مستورة بالرد والسكين بيدها.

- جميلة: إزيك يا أمه عاملة إيه؟

- مستورة: الحمد لله وإزيك إنتي وحبيب ستو، الإسهال وقف ولا لسه؟

- جميلة: الحمد لله أحسن دلوقتي، خلصتي البامية يا أمه؟ علي عاوز ياكل

منها بكرة وعاوزه بصل وطماطم.

- مستورة: البامية بقمع فيها، البصل والطماطم بكرة مش قادرة أروح السوق

تاني ، ما قلتيش ليه كنت جبتهم مع البامية.

- جميلة: يوه يا أمه نسيت والواد تعبان وعلي مايجيش حاجة. وبعدين

إنتي وراكي إيه؟!

- مستورة: حاضر يا جميلة.

- جميلة: مع السلامة.

وتغلق جميلة التليفون قبل أن ترد أمها. وتغلق مستورة التليفون وقد تجمعت

الدموع في عينيها محدثة نفسها:

- أنا الغلطانة يا ولادي، بحينتي عليكم عطيتكم مفكرتش آخذ ، علمتكم

تاخذوا ولا تدوش

تشرد مستورة متذكرة أولادها وهم صغار. أبوهم بخيل عنيف، يكبرها

بأكثر من عشرين عاماً يصيبه الشلل من شدة عصبيته ، لا تأكل إلا ما

يتبقى من أبنائها ، تنام على الأرض ، فالسرير الوحيد لديهم يتام عليه الولدان

والأب على كنبه وجميلة على الكنبه الثانية.

لم تتم على سرير إلا من سنتين ، وأخيراً اشترت ملابس رخيصة لكن

جديدة وشنطة مثل شنتط الموظفين بل وحذاء وإيشارب، وفرحت وكأنها ملكت الدنيا حين اشترت دولاباً وضعت به ملابسها الجديدة.

تحمّل مستورة طلبات جميلة وتطلع السلم بصعوبة وتدق الجرس وتسمع نداء علي؛ لتفتح جميلة الباب:

- أهلاً يا أمه هاتي الشنتط كتر خيرك.

تنظر مستورة لعلي وهو جالس يدخن الشيثة ولا ينظر لها.

- مستورة: إيه يا علي مش شايفني.

يرد علي بإهمال مستمر في عدم النظر لها:

- لأ شايفك يا خالتي.

- مستورة: ولما أنت عارف إني خالتك ما تقوم تسلّم.

- علي باستهزاء وصوت عالٍ: أقوم لك يا خالتي يا مفرجة الخلق علينا!

تحاول جميلة تهدئة علي؛ خوفاً منه وشفقة على أمها فيدفعها بعيداً، ويهب واقفاً ويصرخ في مستورة:

- عليها الطلاق لو الجوازة دي تمت، لأبعث لك بنتك متلزمينش.

- مستورة: لم نفسك يا على انا ماعملتش حاجه غلط الجواز مش حرام

ثم يوجه كلامه الجميلة :

- افرحي يا أختي وزغرطي لأملك.

تنزل مستورة مسرعة تتعثر في ذيل عباءتها على السلم، تنكفي على وجهها، فتصاب بكدمات ويسرع المارة بمساعدتها على القيام ، وتسير مسرعة بدون أن تنفض التراب عن ملابسها . تحاول النوم فلا تستطيع ، تنقلب في سريرها. والصداع من أثر الوقوع وتورم في عينيها من أثر البكاء ، تتناول حبوب لتسكن الألم ، تفتح التلفزيون تنقلب في القنوات لا تحمل صوته ، تغلق التلفزيون وتعاود محاولة النوم وقراءة القرآن ولا يأتي النوم.

تسمع فجأة صوت في الشرفة فترهف السمع، فلا تسمعه ثانية، فتسحب الغطاء وما إن تهدأ أنفاسها حتى تسمع الصوت مرة ثانية تقوم ببطء وتسحب يد المهن التي تضعها أسفل سريرها من وقت أن تزوج ابنها الأصغر ، تقف خلف باب الشرفة بهدوء. تكتم أنفاسها وتنظر من فتحات الشيش فتجد قطة تلعب في كرايب تضعها في الشرفة، فتلتقط أنفاسها وتمسح العرق المتصبب منها وتعود للسرير وتجلس؛ حتى تهدأ رعشة جسمها وينتظم نفسها ثم تسحب الغطاء ثانية، تلف نفسها فيه متكومة في ركن السرير وما زالت دقائق قلبها غير منتظمة.

وتظل مستيقظة حتى الصباح وقد جافاها النوم، فتنهض متكاسلة.

تنزل مستورة من الميكروباص، وتمشي خطوتين وينادي السائق فتعود لتدفع الأجرة بلا اعتذار وحتى لم تنظر للسائق الذي يصرخ فيها:

أنت شاربہ إیہ علی الصبح!؟

تفتح المكاتب وتُنهى أعمال التنظيف الصباحية بصعوبة من الآمها ويبدأ الموظفون في الوصول تبعاً، وتقدم لكل منهم طلبه وتدخل لتقدم لآخر موظف طلبه ، يمد الموظف يده ويحاول الإمساك بيدها فتنهره وتخلص يدها منه

- احترم نفسك يا أستاذ.  
- الموظف: وأنا عملتلك إیہ هتبلي عليا. أنا محترم غصب عنك ، مش عاوزة تتجوزي ما إحنا أهو ولا هو حلو وإحنا لأ!؟

تُخرج مستورة مسرعة من المكتب. تذهب لحنان باكية شاكية مما حدث.

- حنان: حسبي الله ونعم الوكيل، أنا هقوم أبهدله.

تُمسك مستورة بحنان:

- لا الله يخليكى يا أبله مش عاوزه فضايح، دا بيقول إني بتبلي عليه لأن نفسي في الجواز.

- منال: أهو دا اللي كنت بقول عليه ، كنتي محترمة نفسك والناس محترماك، ولسه ياما هتسوي، ولا حد هيفهم إنك عاوزة ونس وسند ولا الكلام اللي بتقوليه دا.(وتكمل منال وهي تلوى شفيتها) والله أنا خايفة يكون طمعان في

شقتك.

- مستورة: شقة إيه يا أبله اللي ف الإسكان الشعبي. أوضتين وصالة، دا أنا مي للشارع دور أرضى والشارع قرب يبقى علو البلكونة ، وبعدين هو أسطى كسيب عنده ورشة.

- منال: طب عاوز يتحوزك ليه؟

مستورة تخفض رأسها للأرض وتسكت. ترد حنان بصوت ملؤه الملل والزهق:  
- زى ما أي راجل عاوز يتحوز أي واحده ست ولا ناسيين. إنحاست زى وزيك.

- مستورة: خلاص يا أبله هم عندهم حق أنا أتبهذلت ، أنا هرفض ، علي جوز جميلة هيطلقها لو أنا أتجوزت.

- حنان: وهو ماله؟ يعنى اسم الله هو عدل قوي ، دا مش راجل أساساً ، يطلقها ويغور ويهرجع تاني سيبك منه.

- منال: يعني تخرب على بنتها وتتهنى هي؟!

- حنان: بنتها في خراب أساساً ، مستورة هي اللي بتعمل كل حاجة بتجيب له الخضار والتموين وتأخذ الولد للدكتور، هو لزمته إيه وكمان يتحكم فيها ، علي دا بقى هو اللي طمعان في الشقة.

\*\*\*\*\*

تعود مستورة لبيتها ، تفتح الباب لتفاجأ بأولادها، سيد ومحمد وجميلة وزوجها، تسألهم باندهاش :

- فيه إيه؟ مالكم؟!

سید یقف علی ساق واحده منحنياً، یستند بكوعه علی ركبته واضعاً  
قدمه علی طرف الكنبه یفرك كفيه فی بعضهما بعصبية :

- اهلا بالعروسة، فیه نفس الحكایه جوازك یا امه.

ینكره محمد لیهدی من انفعاله :

- اسمعی یا أمه میصحش إنك تتجوزی وإحنا كبار كدا .... یا أمه إنتی مش  
صغیره.

- مستورة: كان المفروض أيجوز وأجيب لكم جوز أم وأنتم صغیرین؟

- مستورة تنظر لجميلة : ابنك فین؟

یرد علی قبل جميلة:

- عند أمی ولا عایزاه یحضر الفرح.

- مستورة: آه، أنتم متفقین تتجمعوا ، ومن غیر الولد مش عاوزین دوشه....،

فهمت ، كمل یا علی، آه عاوزه حفیدی یحضر الفرح.

یحمر وجهه علی وینظر لسید:

- لاااا أمك بایعة كله ، وشاربة العریس.الحق علیا عاوز أحافظ علی

شكلك قصاد الناس .... ألق أمك یا سید دا أنتم هتتهدلوا ، وبحث\_ دا

أنا اللي ابن أختها مكسوف ووشی فی التراب ، بیقوا أنتم هتعملوا إیه وأنتم

المفروض رجالة بشنبات!؟

يقفز سيد ليمسك بخناق علي، ويسرع محمد باحتضان سيد من ظهره محيطاً  
إياه بذراعيه وجميلة تحاول أن تقف حائل بينهما وتصرخ مستورة في علي :

- رجالة غضب عنك ، ومراعيين بيوتهم أكثر منك.

- محمد : مبسوط كذا يا علي ولعت الدنيا ، أنت إيه اللي دخلك؟

- علي : الحق عليا يا سي محمد، أنت أول واحد مضرور؛ أنت ناسي إن

مراتك علي وش ولادة، وحماتك ميتة. مين بقى هيراعي مراتك وابنك؟ ولا

هتسيب مراتك لأملك تنفسها في بيت راجل غريب.

- سيد: شفتي يا أمه عملي فينا إيه ، ابن أختك بيتكلم كذا الغريب هيقول

إيه؟

- مستورة: ابن أختي عاوز يولع الدنيا بيني وبينكم ، خايف جوازي بمنعني

من خدمته هو ومراته، وعاوز يورث الشقة اللي حيلتي.

- علي: أنا طمعان؟ أنا خايف علي لحمي ودمي ، إنتي خالتي مهما

كان،الحق بقى عريسك هو اللي طمعان في مرتبك ومكافاه المعاش ، سيد ومحمد

أولى بفلوسك.

- جميلة: يا علي هو مرتب أمي كام عشان العريس يطمع فيه؟

- علي يصرخ في جميلة: إنتي تخرسي خالص متتكلميش والرجالة بتتكلم.

- سيد بصوت عالٍ: مرتب ولا شقة إيه اللي بتتكلموا عليهم ، الناس واكله

وشي ، دي حماقي وولادها عامليني تسليتهم .

مستورة صامته تماماً تجلس على طرف الكنبه عاقده أصابعها، تنظر للأرض وكأن الحوار لا يخصها، تلاحظ جميلة أمها فتبكي ألماً خوفاً عليها:

- وأنت تسكت لحماتك وهي بتتريق على أمك ليه يا سيد؟

يصرخ سيد فيها :

- اسكتي إنتي خالص ، إنتي بتشجعيها.

- جميلة: لا والله أبداً ، لكن ما يصحش كدا.

- سيد: وما يصحش ليه؟ حماتي ست محترمة اتكسرت على عيالها بعد ما

جوزها مات ، وما قالتش عاوزه أنجوز زي عروستنا، لكن إحنا السبب يا أمه، قلتي

محو أمية ، سيناكي تاخدي الابتدائية وقلنا بتتسلي ، قدمت أولى إعدادي

وسكتنا ، افكرتي نفسك شابه وقلتي أكمل وافرح بنفسي.

- علي: وهدوم ملونة وهيصه ، خلاص زمن العباية السودا راح ، كانت

بتلبس وتتشيك علشان العرسان تيجي لها ، والعروسة بقى اشترت قمصان النوم

ولا لسه ؟

يقفز سيد ثانية بسرعة فلا يلحقه محمد ، يمسكه سيد من ياقة قميصه ويلكمه

في أنفه وعينه بعنف ويسيل الدم من أنفه ، ويحاول هو الآخر الإمساك

بملابس سيد ليلكمه فتطيش اللكمة لما أبعد سيد وجهه من مسار قبضته ،

حتى يخلصهم محمد من بعضهما.

- علي : الحق عليا ، بكرة يجي هنا مكان أبوك.

- جميلة: لا مش هيحي مكان أبويا ، هو عنده شقة.

يقوم علي ليضرب جميلة، ويمنعه محمد :

- إيه يا علي هتضربها قدامنا كمان!

- محمد لجميلة: مين اللي قالك إن عنده شقة؟ ولا العريس جه وخطبها

منك!

- جميلة ترتعد خوفاً: خالتي والله خالتي وتنظر لعلي أمك هي اللي قالت لي.

ينظر محمد بغیظ لعلي:

- أمك هي كمان بتشجع اهي ، بتكلم ليه بقى!؟

يرتبك علي وينظر لجميلة نظرة من نار:

- ما أمك عيظت لها «ويقلد مستورة في طريقة كلامها» أنا بخاف باليل محتاجة سند ، صعبت على أمي.

- محمد : يا أمه استهدي بالله واسمعي كلامنا ، امبارح واد ما يسواش بيقولي هتجيب إيه هدية للعروسة؟ وضررنا بعض وكانت عركة.

وجميلة ما زالت على جلستها كما هي لا تنظر لأحد ، ودموع غزيرة تنزل من عيني جميلة:

- كفاية بقى حرام عليكم.

- علي: طبعاً ، تلاقيني إنتي كمان نفسك أموت وتتجوزي، ماهو اقلب

القدرة على فمها.....

- يقاطعه سيد: اتلم يا علي؛ المرة دي هكسر لك سنانك. ويلتفت لمستورة:

الخلاصة يا أمه الأرملة تلبس أسود ، ترجعي تاني للأسود ، ومفیش تعليم ، مش

بعد ما شاب ودوه الكُّتاب ، وعريس المننا بتاعك دا تنسيه وتنسي الموضوع كله ، ولو استغفلتينا \_ وهو يخبط بعصية على جانب رقبته \_ وأدتينا على قفانا وتمتمى الموضوع دا، هاقتلهولك يا أمه ، فاهمة \_ وهو يشير علامة الذبح بأصبعه على رقبته \_ هاقتله ، - وبصوت عالٍ وعيناه سينفجر الدم منها \_ وافرحى بيا وأنا متعلق في جبل المشنقة.

تلف الدنيا وتظلم وتبتعد الأصوات حتى نثلاثشي، وتقع مستورة على الأرض فاقدة للوعي، مصطدمة برأسها في طرف المنضدة وينزل الدم من رأسها بغزارة.

تصرخ جميلة، ويسرع محمد وسيد بحملها، والتوجه للمستشفى وينزل علي بهدوء خلفهم ذاهباً في اتجاه آخر .

تفيق مستورة على آلام شديدة ، تتحسس رأسها، فتجده مربوطاً بالشاش وجبيرة على ذراعها:

- آآآآه .

جميلة جالسة تمسك بيد أمها تبكي، ومحمد واقف خلف السرير الذي تنام عليه مستورة، بينما سيد واقف خارج الحجرة يدخن بشراهة مستندا على الحائط تارة، ويمشى جيئةً وذهاباً تارة أخرى.

- جميلة: ألف سلامة يا أمه.

ينادي محمد للطبيب ويخبره بإفاقة أمه، فيحضر؛ ليطمئن عليها.

- الطبيب : حمد الله على السلامة يا حاجة ، مش تاخدي بالك من السلام

، عاوزين غذا كويس وراحة تامة ، وطبعاً مفيش تعرض للشمس قبل أسبوع حتى

فك الغرز. وذراعك هنعمل له أشعة بعد أسبوعين ونقرر نفك الجبيرة ولا لا.  
وينظر الطيب لمحمد :

- تقدروا تاخذوها وتروحوا؛ ترتاح في البيت. ويكتب لهم رويته ويأمرهم بصرفها والحضور بعد أسبوع مُنبها بأنها ستشعر بالآلام لفترة ودوخة وينصرف ، يحملها ولداها ويرجعان إلى بيتها ويضعها بسريها وغطتها جميلة بالغطاء وهي تردد الأدعية.

ويجلسوا جميعاً صامتين، ينظرون لبعضهم طويلاً يتأمل.

ويتكلم سيد أخيراً:

- معلش يا أمه إنتي عارفة ما أقدرش أقعد جنبك ، الميكروباص عليه أقساط مايرضيكيش أتحبس.

ويقف ويضبط قبضه ويستعد للانصراف فتنظر له مستورة ولا ترد ، بينما تحضّر لها جميلة كوب لبن وماء وتضعهم بجوار السرير مع الأدوية التي صرفها لها الصيدلي

- معلش يا أمه الواد مع علي من بدري، وزمانه لطش فيه لما شبع. إنتي عارفة الواد يخاف منه - وتنادى - استنى يا سيد خدني معاك.

وتنظر مستورة لمحمد منتظرة ما سيقوله وهو يتأمل شاعراً بالخرج.

- محمد: يا أمه.... أنا ... مراتي في الآخر، خلاص على وش ولادة؛ مش هقدر أسيبها تبات لوحدها إنتي عارفة إنها يتيمة.

ثم يتلفت حوله ويكبل:

- طب مين هيات معاكى؟

ترد مستورة بصوت ضعيف:

امشى يا محمد ... امشى أنا كويسة.

يسرع محمد فيلحق بسيد وجميلة.

تحاول مستورة القيام لابتلاع المسكن فلم تستطع، وتظل تحاول حتى تعتدل في جلستها وتشرب المسكن، ثم تحاول العوده لوضعها الأول؛ لتنام على السرير، فتصرخ من الألم وتنزل الدموع من عينيها غزيرة متتالية.

وفي الصباح تنزل مستورة بصحبة آلامها ورباط الشاش حول رأسها مرتدية حامل الذراع الذي لبسته بصعوبة ولون أسود حول عينيها مع لون بشرة باهت، وركبوا جميعاً الميكروباص ونزلوا معاً، وينادي السائق عليهم لدفع الأجرة « ولا يرد أحد »

تمت مستورة الجزء الأول

## مستورة.٢

تنظف مستورة المكتب متألمة تحرك ذراعها بصعوبة ، تدخل حنان  
مبتسمة لرؤية مستورة وقد بدأت تستعيد بعض عافيتها.

- صباح الخير يا مستورة عامله إيه.

- مستورة: الحمد لله يا أبله، يسعد صباحك.

- حنان : فكيتي الغرز؟

- مستورة: فكيتها أول أمبارح لكن الصداع لسه شديد ، ووجع دراعي

هيموتني ، مش عارفة أشتغل منه.

- حنان: قررتي إيه مع ولادك وجمال؟

تحاول مستورة الابتسام كعادتها في الكلام مع حنان لكنها تفشل حتى في الابتسام بسخرية، فتدمع عيناها :

- ولا حد منهم عبرني من يوم ما وقعت، محمد بس اتصل بالتليفون مرة على السريع وخلص ، أم علي بس هي اللي بتيجي، كتر خيرها؛ تطبخلي وتعملي شغل البيت.

وتخفص رأسها وكأنها نجمة لازدياد نزول دموعها مع سيرة جلال.

- وجلال خلاص أخويا بلغه بالرفض.

- ليه يا مستورة بلغتيه؟ استعجلتي ليه؟ ومالك موطية راسك وإنتي بتكلمي عنه مكسوفة ليه؟! ليه سمحتي لكلامهم يدخل عقلك، ويجسسك إن موقفك يكسف. ارفعي راسك وإنتي بتكلمي.

مستورة «وقد بدا عليها عدم الاستيعاب»:

- يعني إيه كلامهم يدخل عقلي، ما هو لازم يدخل. اسمح ولا ماسمحش إزاي.

- يعني إنتي مش ماشية في الحرام عشان توطي راسك.

- مستورة «وقد أحست بمعنى كلام حنان وإن لم تفهمه كله»: آه فعلاً أنا مكسوفة من الموضوع، كأني بعمل حاجة حرام.

- حنان وهي تربت على كتف مستورة : اسمعيني، انجوزي ولادك هيزعلوا شويه ويسكتوا.

- علي هيطلق جميلة يا أبلة، دا حالف بالطلاق.

- يطلق وهيرجع زي الج..... هيلاقني فين حد عبيط ويسمع كلامه زي بتك ، ولو عاوزه رأيي اكتبني الشقه اللي سي علي طمعان فيها باسم ولادك

الثلاثة، هيتكتم ويسكت ، ويبقى إثبات إن جلال مش طمعان ، ولا جلال يتضايق.

- لا يا أبلة هو لما عرف ، وافق وقال هي حرة.

- فكري كويس، هاتى الشاي بقى.

\*\*\*\*\*

مستورة تنظر لنفسها في المرآة غير مصدقة عينها:

- دي أنا؟

أم علي تزغرد من الفرحة.

- مستورة: بس يا أم علي، اسكتي الناس تقول إيه؟ عيب.

- أم علي : بس بس ما عيب إلا العيب.

وتتبعها أم علي بزغردة أخرى :

- الناس لازم تعرف إن كتابك اتكتب وأخوكي وكيلك واللي يزعل يطق،

وأولهم علي ابني.

- مستورة: أنا خايفة من سيد ينفذ كلامه ويأذي جلال؛ إنني عارفاه عصبي

زي أبوه، وابنك هيطلق جميلة.

- أم علي: يطلقها وأنا أخذها عندي لغاية ما ييوس رجلي أرجعها له.

- مستورة بحزن : ربنا يستر.

- أم علي: إيه بقى دا يوم تحزني فيه والله أبدا، وتزغرد تالته.

- تبتسم مستورة : شوفتي يا أم علي، أول مرة ألبس حاجة فاتحة ملونة. لا

والطقم دا غالي، جلال اشتراه ليا مع الدبلة والخاتم. أول مرة من يوم ما أتجوزت

أبو سيد.

- أم علي: والله عسل، حطي شوية أحمر كد، لونك مخطوف وباين عليكى خستى كثير.

- يبدو على مستورة الدهشة من كلام أم علي: لااا يا أختى ، أنا كدا وهاموت من الكسوف ، أحط أحمر كمان ، كحلة فى عيني وخلاص.

- تحضنها أم علي وتقبلها: حطي حطي بلا هم كفاياكي ، افرحي بقى.

وتمسك بعلبة المكياج التي اشتراها جلال لمستورة مع الهدايا وتضع لها أحمر خدود، ومستورة تحاول الابتعاد لكي لا تكثر أم علي منه.

يدخل الأسطى عبده أخو مستورة :

- مبروك يا أختى ألف مبروك، خلاص كتبنا الكتاب \_ ويرفع صوته\_: تعالى يا أسطى جلال خلاص أنت مش غريب.

- يدخل جلال الحجرة فرحاً، بينما مستورة حجلة ترتعش خافضة رأسها.

ويخرجها للشهود وبعض الرجال من الجيران وتقدم أم علي لهم الحلويات ويسلمون على العروسين وينصرف الجميع.

يجلس جلال فرحاً ينظر لمستورة بملامحها الرقيقة الهادئة والتي لا تخلو من الجمال وسمرة بشرتها الخفيفة التي تضيف للناظر لها إحساساً أكثر بالطيبة والارتياح لها : منورة يا ست مستورة، نورتي بيتك.

## مستورة غارقة في نجلها:

- الله ينور عليك.

جلال مبتسماً بفرح وأمل: عاوزك تكوني فرحانة ولا تعولي أي هم، سيد هنروح له أنا والأسطى عبده ونراضيه وهيبقى زى القمل إن شاء الله.

- لا.... يا رب يكرمك ما تروح؛ سيد شراني، طبعه صعب. مش هيكبر لحد.

- مالك خفي كدا أنا عاوز الأمور تبقي تمام.

- إن شاء الله تبقي تمام، بس ما تروح له.

- ماشي يا ست الكل، أكلينا لقمة بقي أنا ما أكلتش من الصبح.

- ليه كدا؟

- من الفرحة حلفت ما هاكل النهاردا إلا من إيدك.

تبتسم مستورة ويحمر وجهها بوضوح رغم سمرتها وتخفيض عينها، وتقوم مسرعة من أمام جلال، وبصوت خفيض تملؤه حماسة الأمل:

- حالاً هغتر وأحضّر الأكل، هو جامز؛ أختي أم علي عاملة لك أحلى أكل.

تدخل مستورة حجرة النوم تنظر للستائر والمفرش والدولاب ونقوشه غير مصدقه أنها تمتلكها، تطيل النظر للتسريحة وتنظر لنفسها في المرآة. أول مرة ترى شكلها كله في مرآة؛ في بيتها دائماً كانت مرآتها صغيرة، معلقة على الحائط فوق حوض الحمام، بالكاد تظهر وجهها ورقبتها، وحتى الدولاب الذي اشتريته بعد زواج جميلة، انكسرت مرآيته والعمال يحملونه على السلم،

وطلبت من محمد استبدالها ووعدها ولم ينقذ بحجة الانشغال.

تفتح مستورة دولا بها وتنظر لما يحويه الدولاب من قصان نوم وعباءات منزلية وملابس للخروج، اشتراها لها جلال فتدمع عيناها، لطالما حملت بقطعة ملابس واحدة منها، كانت تراها على جاراتها في الأعياد، تخرج شماعة معلقاً عليها قميص وروب، تتحسسهم شاعرة بنعومتهم الغربية عليها؛ فأبو سيد كان بخيلاً وزوج أمها أبخل منه لم يشتريها لها شوار كأبي عروس من أقرانها.

تسمع صوت جلال يناديها، فتسرع بتغيير ملابسها مرتدية القميص والروب، متمنية إطالة النظر في المرأة، تريد أن تحفظ إطلالتها الجديدة. تحضر العشاء وتجلس لتأكل مع جلال الذي يأكل طعامه ناظراً لها بحب:

- بقول مش كفاية شغل وتعب بقى أعملى معاش ولا استقالة؛ إنتي ملزومة مني ومش عاوزين حاجة من شغلك.

- معلى ساسحي، أنت طول اليوم في الورشة، وأنا هقعده فاضية، وأنا شغلي مش مُتعب \_محاولة أن تداري كذبتها\_ أنا كبرت ومعايا واحده تانية هي اللي بتنضف، أنا أجيب ورق من مكتب أوصله مكتب تاني. والكل هناك كويس معايا \_وتحفض رأسها\_ وأنت مش غريب جميلة أوقات بتحتاج فلوس أنت عارف جوزها، وكمان يساعد سيد في أقساط الميكروباص، آه... ومحمد مراته قربت تولد الأمر ميسلمش إنه يحتاج فلوس، مفيهاش حاجة وصدقني مفيش حاجة همهلها من طلباتك، ولا شغل البيت؛ اليوم طويل.

يهز جلال رأسه موافقاً على مضض ويكبل طعامه. يجلس جلال أمام مستورة مبهتجاً: صباح الورد يا عروسة. مستورة وانجبل يقطر منها تشعر وكأنها عروس لأول مرة، تناسى ليلتها الأولى مع أبو سيد ، تثلقت حولها كلها أمسكت بشيء جديد من جهازها؛ لتتأكد أنها لا تحلم وأن ليلة أمس لم تكن حلماً أفاقت منه.

- صباح الخير ، دتفطر؟

جلال مبتسماً وعيناه تتابعها في حركاتها:

- نفطر يا ست الكل.

تدخل مستورة لتجهز الإفطار وقبل أن تضعه على الصينية تسمع خبطاً قوياً على الباب، ينتفض له قلب مستورة. يفتح جلال الباب بسرعة ومستورة تلبس إسدالها بسرعة؛ لإحساسها بأن شيئاً ما قد حدث، ويجد جلال طفلاً من الجيران :

- إيه يا بيبو حد يخبط كدا؟

- بيبو: الحق يا عم جلال واحده في الشارع تحت البيت مغمى عليها ومعها عيل صغير وأمى بتقول إنها قريبتكم.

ينزل جلال مسرعاً وخلفه مستورة ليجدا جميلة والجيران ترشها بالماء؛ لإفافتها وابنها يبكي بجانبها ، تحتار مستورة أتحمل الطفل أم تساعد ابنتها؟! فيشير لها جلال لحمل الطفل ويساعد هو جميلة على النهوض، وتصعد السلم يسندها بذراع والآخر يحمل به حقيبة ملابسها.

تبكي جميلة في حضن أمها والطفل يبكي لبكاء أمه ، وأم علي تحاول تهدئته ، يحضر لهم جلال بعض العصائر،، تأخذ مستورة علبة محاولة أن تسقيها لجميلة، بينما ترفض جميلة الشرب، مستمرة في البكاء:

- طلقني يا أمه عملي اللي في دماغك ، أنت التجوزتي وأنا أنطلقت.

يتضايق جلال مما قالته جميلة بالرغم من عذره لها : استهدي بالله يا جميلة بكرة يرجع وربنا يهديه وإنتي في بيت أبوكي معزة مكرمة ولا إيه يا أم سيد.

وقبل أن نتكلم مستورة ترد أم علي: معلش يا أسطى جلال، دائماً عامر، لكن ابن ابني وأمه عندي لغاية ما أبوه يقول توبت عايز أشوف ابني ، أنا اللي هعرفه إن الله حق، قليل الأصل.

تبكي مستورة:

- يا ريتني ما أتجوزت كنت فاكراه بيهدد بس.

يضيق جلال بما يحدث ومما تقوله مستورة، فيخرج من البيت قاصداً المقهى.

\*\*\*\*\*

يدخل جلال ورشته ليجد سيد جالساً واضعاً ساقاً على ساق، وينظر له نظرة شر وتحد ، يتغاضى جلال عن نظرة سيد وجلسته ويحاول الترحيب والتودد إليه بالأبتسام والترحيب.

- أهلاً يا أسطى أهلاً وسهلاً نورت الورشة.

يخبط سيد بشدة على المنضدة التي تحمل عدة الميكانيكي والشاي أمامه فتقع قطع من العدة على

الأرض وينسكب قليل من الشاي:

- لا أهلاً ولا سهلاً اللي عملتوه مش هيعدي بالساهل ، ما اتخلفش اللي يستغفلي ولينا ميعاد.

ويخرج من الورشة مسرعاً، بدون أن يعطي جلال فرصة للكلام.

\*\*\*\*\*

تفاجأ مستورة بمحمد ينتظرها على باب العمل ، ينظر لها بنظرة شبيهة لنظرة سيد والتي لم ترها من محمد من قبل.

- مبروك يا عروسة التجوزي وعملتني اللي في دماغك ، ولا همك بنتك اللي اتطلقت ولا ولادك اللي حطيتي راسهم في الطين.

مستورة وهي مأخوذة بنظرة محمد وطريقة كلامه المختلفة:

- طين؟! ليه هو أنا عايشة في الحرام يا ابني؟ عيب كدا دا مش كلام تقوله لأملك.

- يعني عارفة إن ليكي ولاد كان المفروض تحترميهم.
- ثاني يا ابني خلاص أنا التجوزت راجل طيب، ويعني لو كان أبوك هو اللي عايش والتجوز كنتوا هاتعملوا كدا.
- أبويا راجل ما يتعايش عليه الجواز إنما إنتي .....
- تقاطعه مستورة : يعني هو كان هيتجوز إيه مش واحدة ست زيي. إيه الفرق؟

### محمد يرفع سبابته مهدداً:

- ماليش فيه يا أمه ، الكلفته اللي إنتي وأخواتك وجوزك كلفتوها لنا مش حلوة .....
- ماشي يا أمه ، أنا ما رضيتش سيد يجيلك وقلت آحي أنا ...
- ارجعي بيتك وعريس الغفلة اخلصي منه بالتي هي أحسن .... «ويعلو صوته»
- يا إما ماتبقيش تعيطي ، خلص الكلام.
- يمشي محمد يشوط طوب الأرض بجذائه بقوة وغيظ وكأن المشكلة معه،
- تنادي مستورة عليه، فلا يرد، مشيحاً لها بذراعه دون أن يلتفت لها.

### تبكي مستورة :

- خايفة يا أبله حنان ، سيد ابني ربنا يهديه وليه صحاب أعوذ بالله ، هيعملوا حاجة في جلال ، أنا هتطلق.
- حنان: يعمل إيه بس يا مستورة ، يخاف ما يقدرش.
- مستورة: دا ما يقدر عليه إلا ربك .

\*\*\*\*\*

- مستورة : ألو، أيوه يا أم علي، تعالي يا أختي وهاتي عبده أخويا معاكي،  
أنا هتطلق.

تسحق أم علي:

- ليه يا أختي بعد الشر إنني لحقتي ، تطلقي بعد أسبوع جواز، لأ ما تقوليش  
كدا ، دا أنا لسه مكلمة علي وبهدلته وحلفت ما يشوف ابنه إلا لما يتأدب ،  
وبخلاص قال هيحي يصلحها ويردها .

- مستورة : اسمعيني هاتي عبده وتعالي.

- جلال غاضباً: ينفع كدا يا أسطى عبده، أختك تقول طلاق بعد أسبوع.

عبده غاضباً:

- والله ولا ينفع ، عيب يا أختي، يقولوا إيه ما عمرتش، وعيالك مسيرهم  
يسكتوا زي علي.

- مستورة : علي «وتنظر لأختها» لا مؤاخذة يا أختي متزعليش، كان همه  
الفلوس المساعدة اللي بادبها بجميلة كل شهر والشقة، ولما عرف إني مش هامنع  
عنهم سكت. لكن ولادى لا يهمهم فلوس مكافأة المعاش ولا منحة الوفاة،  
لكن كلام الناس عندهم أهم والناس مش مبطله كلام وتريقة - وتبكي - ما هم  
معدورين؛ اللي حماته نازلة ذل فيه، والثاني أصحابه بيحفلوا عليه، مش هيسكتوا.  
وتكمل مستورة وما زالت مستمرة في البكاء: يا جلال أنا خايفة عليك.

- جلال : يا ستي أنا مش خايف ، فيه حكومة وفيه قانون، يخافوا ما  
يقدروش.

- مستورة : ولو قدروا هافرح أنا لو جرى لك حاجة وهم اتحبسوا ، ما إحنا  
كنا فاكرينهم هيسكتوا لما نتجوز.

- عبده : اهدي كدا يا أحتي وأنا هقابل سيد وأتكلم معاه ، بس مش انهاردا، بيقولوا فيه مظاهرات والدنيا هايصة في الشوارع.

- وينظر لأم علي: تعالي يا أحتي أما أوصلك، لتيحي فيكي طلاقة ولا خرطوش. ويضحكون جميعًا إلا مستورة.

يقترّب جلال من مستورة ويمسك يدها:

- على فكرة أنا زعلان، نتطلق؟ هان عليكى تقوليها.

تجفف مستورة عيونها:

- معلش والله خايفة عليك ، وأنا مكسوفة مشاكل من يوم ما اتجوزنا.

- جلال: يا ستي متخافيش ، وأنا راضي «وبنظرة معاتبة» وأنا اللي كنت

بجهزلك عزومة بكرة في الجنينة وندخل السیما ونعيش بقى.

- تضحك مستورة: سیما ، بجد عمري ما دخلتها .

- جلال : هتدخلها كل ما ينزل فيم حلو كدا بيضحك ولا أكشن ، كفاية

هم بقى.

٢٧ يناير ٢٠١١

سيد يدخن الشيثة باستمتاع وهو يستمع لحظة حوده الكبير في غرزة

في إحدى المناطق المشبوهة

- الله ينور عليك ، صدق اللي سماك حوده الكبير.

حوده «وهو مثال واقعي للخارجين عن القانون في الأفلام القديمة، مثل  
أثر جرح كبير بطول خده، ونظرات شر وحقد تخرج من عينيه»

- ما أنت كبير الأسطوات يا عمهم ، اتفقنا.

- سيد : خايف بس....

### يقاطعه حوده:

- أوعى تخاف وحوده معاك، وهي متسهلة؛ المظاهرات مبهدلة الدنيا على  
إيدك، والشرطة مش فاضية لحد. (ويميل على سيد) امبارح طلعتنا طلعة لوز،  
فتحنا محلين شطبناهم، ولا حد سأل وكسرنا براحتنا والناس خافت تبص حتى  
من الشباك.

- سيد : ماشي يا كبير ، أمين ، عاشوا الرجالة. ويترك له مبلغاً من المال :  
على اتفاننا ، الباقي بعد المهرجان، استبيننا.

\*\*\*\*\*

جلال على سريره في المستشفى وقد لقت أصابعه بلقافات الشاش وعلى  
وجهه أثر من لفحات النار

- مستورة : ألف سلامة، والحمد لله إنك بخير.

جلال صامت ينظر لسقف الغرفة ودموع متحجرة في عينيه.

- أم علي: الحمد لله ، إن جت على قد كدا ، دا سقف الورشة وقع.  
- عبده : أنا مش فاهم الورشة بعيدة عن ضرب النار والخراطيش إيه اللي  
ولعها كدا.

جلال لا يزال على صمته وصوت سارينه الإسعاف يرن؛ معلناً عن  
وصول جرحى جدد وتبعد مستورة عينها لكي لا ترى المصابين.

يخرج جلال عن صمته أخيراً

- فين عماد ( مساعده بالورشة)؟  
- مستورة تنادي عماد ، ويدخل عماد الغرفة.  
- جلال: أستاذك يا أسطى عبده، شوف لي الدكتور عاوز أروح؛ مش قادر  
على الصراخ اللي بسمعه كل شوية ، ونروح قبل حظر التحول ، وإنتي يا مستورة  
لمي هدمومي ، وأشار لعماد فمال عماد عليه وهمس جلال في أذنه وهز عماد  
رأسه علامة الإيجاب وخرج من الغرفة.

يدخل جلال غرفته مستنداً على ذراع عبده ، وينام على السرير متوجعاً،  
وخلفه مستورة وأم علي.

- الحمد لله على السلامة، نورت بيتك ،خير إن شاء الله وكله يتعوض.  
- جلال: يتعوض منين يا مستورة والورشة بقت كوم تراب ، وإيديا خلاص،  
الدكتور يقول هتحتاج عمليات كثير ،يجي منين الخير؟!  
- أم علي: حرام عليك ما تقولش كدا، ربنا يخلف عليك إن شاء الله.  
- جلال: يا ريتني مت وأرتحت أحسن من كدا ، بيتي اتخرب.

- مستورة: بعد الشر عليك.
  - عبده: خير إن شاء الله ، ربنا هيعوض ، هنمشي قبل حظر التحول.
- وينصرف عبده وأم علي.**

- مستورة ، عندك أكل في الثلاثة؟
- الحمد لله مستورة ( محاولة إضحাকে لكنه لا يضحك)
- أخواتي هيوصلوا بكرة أنا بعتهم.
- أهلاً وسهلاً ، يشرفوا ويطمنوا عليك.
- هم مش جاينين يطمنوا إحنا هنرجع معاهم الصعيد.
- مش فاهمة ، هتروح هناك لغايه ما تخف ولا إيه؟!
- هنعيش هناك.
- أيوه ، لكن شغلي وأنت.
- أنا ضعت خلاص وإنتي تسيبي الشغل ، ونبعد بقى.
- نبعد عن مين؟
- الحريقة سيد اللي عاملها.
- تصاب مستورة بصدمة تسكتها لدقائق :
- ليه مش خرطوش من المظاهرات؟!
- : المظاهرات بعيدة عن الورشة، دة عملة سيد.
- تسكت مستورة وتخفض رأسها:**
- طلقني يا جلال كفاياك ، أتأذيت بسبي.
- لا هنرجع بلدنا ونعيش هناك.
- هنعيش مع بعض نعيش هنا.

- نعيش إزاي؟ مش هقدر أشتغل.

- كلها شهرين وإيدك تطيب ، وأنا هصرف ولما تقوم بالسلامة تبقى تعوضني.  
- أنا ما اعيشش من عرق حرمه ، قالوا ليك إني عويل. ويكمل جلال:  
الدكتور بيقول ست شهور ونبداً العمليات ومش هترجع زي ما كانت، انتهى  
زمني خلاص.

- اشتغل حاجة ثانية ، ممكن تبيع خضار في السوق مع صاحبك الحاج  
أحمد.

- جلال بعصية وقد بدأ صبره ينفد من جدال مستورة: أبقى صبي خضاراتي  
بعد ما كنت أسطى قد الدنيا ، لا أبداً ما يكون.

- وهنعيش هناك منين ، وشغلي ممكن ماينفعش أتنقل.

- شغلك تنسيه ، ما أقدرش أقول لإخواتي، إنك عاملة نظافة.

تداري مستورة صدمتها من كلام جلال ونجمله من عملها، ملتمة  
له العذر من ألمه: الشغل مش عيب و.....

- وإيه؟ عندنا في الصعيد عيب الشغل دا ، انسي.

- وهنتشغل إيه؟

- مش هشتغل هنعيش مع إخواتي.

- ما أقدرش أعيش عائلة عليهم ، هناك أنا هبقى خدامة عليهم.

- لا، زيك زي حريم الدار.

- هم أجوازهم بيشتغلوا وأنا لا، هبقى .....

يقاطعها جلال بصوت عالٍ :

- دا آخر كلام مش هبقى صبي خضاراني، مش هفرج الناس عليا ، وإنني مش هتشتغلي هناك، اخدمي في البيت بدل ما تخدمي الموظفين.

جرحت الكلمة الأخيرة مستورة فسكتت ولم ترد ، وقامت لتغسل ملابسه وتجهز الطعام للقادمين.

تدخل مستورة المكتب حاملة صينية الشاي وتضعها، وهي ساهمه توزع الطلبات على الموظفين وهي صامتة.

تغمز منال لسامية بعينها مشيرة بإيماءة برأسها لمستورة، وتلاحظها حنان غير فاهمة لما تعنيه ، ويدخل موظف يضحك باستهزاء لمستورة:

- عاملة إيه يا مستورة.

- مستورة بتحد: الحمد لله ، أعملك شاي؟

يرتبك الموظف من إجابة مستورة، وطريقتها الغريبة الجديدة، التي لم يكن يتوقعها من مستورة انخلة الطيبة فيهرز رأسه بالرفض.

تخرج مستورة غير عابثة بغمزات الموظفين، بالإضافة لنظرة تعني أنها تراهم.

- حنان: فية إيه؟ بتغمزوا ليه؟ مالكم بيها؟

- منال: تنظر لحنان بشماتة وكان حنان من طلقت.

- سامية هامسة: مستورة اتطلقت.

- تصرخ حنان: اتطلقت ليه؟

- منال: ما قلنا تحترم نفسها من الأول ، طلعتونا من البلد..
- سامية: هحكيلك.

### تبحث حنان عن مستورة حتى تجدها :

- إيه يا مستورة، ليه كدا؟
- مستورة: نصيب يا أبله حنان.
- حنان : بكرة يرجع بعد ما يتعالج.
- مستورة: ماعدش ينفع ، وقت الجد عايرني بشغلتي ، وفضل إنه يعيش عائلة على أخواته ، وعمره ما هينسى اللي ابني عمله، نصيبي الحمد لله.
- حنان : مش عاوزاكي تتضايقي من الموظفين ومن غمزهم.
- تبتسم مستورة بمرارة :
- لالا يا أبله كان زمان ، ولا هامني، عارفة إيه اللي في دماغني وشاغل تفكيري.

- حنان : إيه يا مستورة؟

### مستورة وعيناها تنظر أمامها ساهمة بنظرة أمل

- آخذ الإعدادية.

## الفهرس

٥	بدلة وفانلة
١٩	كلهم عنتره العبسي
٢٩	لعبه شوشو
٤٣	جبل الجليد
٨٥	شات
١٢٩	سور الغباء العظيم
١٤١	ثورة عبدة
١٦٣	مستورة «١»
١٧٣	مستورة
١٨٣	مستورة ٢

# زحمة كتاب